مجلة العلوم العربية والإنسانية | E-ISSN : 1658-9602 |
جامعة القصيم، المجلد الاكتروني (١)، العدد (٢)، ص ص ٥٩١-٦٤٩، (ربيع الثاني ١٤٤٤ هـ/ أكتوبر ٢٠٢٢) المجلد العام (١٦)

من البادية إلى عالم النفط، ومن السيرة إلى كتابة التاريخ: دراسة في سيرة الوزير علي النعيمي

د.أسماء بنت عبد العزيز الجنوبي
أستاذ مشارك /قسم الأدب/كلية اللغة العربية/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
(قدم للنشر في ١٤٤٣/٧/١٩ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٣/١٠/١٧ هـ ونشر في ١٤٤٤/٤/١هـ)

ملخّص البحث:

يقدم هذا البحث دراسة إنشائية للسيرة الذاتية لوزير النفط السعودي الأسبق (علي النعيمي)، في بحث يدرس العتبات والمقومات السير ذاتية والسردية للمدونة المدروسة، حتى يصل إلى دراسة العلاقة الأجناسية التي تربط بين هذه السيرة والتاريخ في محاولة للإجابة عن كثير من الأسئلة الإنشائية والأجناسية للوصول في النهاية إلى أن السيرة الذاتية يمكنها أن تكتب التاريخ، بل وتتنبأ ببعض أحداث المستقبل، إذا تمتع كاتبها بالخبرة والقدرة على قراءة الأحداث لاستنباط المواقف وتحليلها.

إن هذا لا يمكن أن يتحقق في أي سيرة ذاتية؛ إذ لابد لها من سمات خاصة في عتباتها القرائية، ومقوماتها النوعية لتضطلع بمهامها البينية، وهذا ما تحقق في سيرة الوزير الأسبق للنفط والثروة المعدنية علي بن إبراهيم النعيمي.

الكلمات المفتاحية : التاريخ، سيرة ذاتية، إنشائية، أجناسية .

From the desert to the world of oil, and from the biography to writing history: A study of the biography of Minister Ali Al-Nuaimi.

Dr. Asma bint Abdul Azeez Al Janubi
Associate Professor/ Literature Department/College of Arabic Language
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University.
Received on 19-7-1443 AH Accepted on 17-10-1443 AH Published on 1-4-1444 AH

Abstract:

This research presents a structural study of the biography of Saudi Arabian Former Minister of Petroleum (Ali Al-Naimi), in a research that studies its thresholds and components, be it biographical or narrative, until it reaches the study of the gender relationship that links this biography with history, in an attempt to answer many of the structural and gender questions, in order to conclude that a biography can write history, even it can predict some future events, if its writer has the experience and ability to read events so as to elicit and analyze their situations.

This feature is not achievable in any biography, as it must have special features in its reading thresholds and qualitative components in order to carry out its interpersonal tasks, and this is what was achieved in the biography of the former Minister of Petroleum and Mineral Resources Ali bin Ibrahim Al-Naimi.

Key words: history, biography, structural, gender.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فعندما شرعت في قراءة سيرة الوزير علي النعيمي ظننتُ أني سأجد رجلا يتحدث عن سيرة مهنية بلّغته الوزارة، لكنني وجدت نفسي أمام رجل تمازجت تفاصيل كفاحه مع تفاصيل تطور عالم النفط في المملكة العربية السعودية، رجل لا يتحدث عن نفسه فقط، بل يروي حكاية جيل تحدى الصعاب ليجد مكانا يليق به على خريطة العالم، ثم وجدت ملامح وطن غلبت على صورة الإنسان، فسألت نفسي كيف يبلغ حب الوطن حد التماهي والانصهار الشديد؟ وهل يمكن لسيرة الذات أن تكتب سيرة جيل، أو أن تؤرخ لوطن؟

كل ذلك جعلني أفكر في طريقة لدراسة هذه السيرة، أُجلّي من خلالها العلاقة الوثيقة التي تربط بين السيرة الذاتية بوصفها نوعا أدبيا يمكن أن يتجلى التاريخ من خلاله، فشرعت في ذلك معتمدة المنهج الإنشائي لاستخراج المقومات السردية السيرذاتية لهذا العمل، ولدراسة التفاعل الأجناسي بين التاريخ والسيرة الذاتية؛ لأن الإنشائية تقدم لنا "أدوات تمكننا من وصف نص أدبي، فنميز بين مستويات المعنى، ونضبط الوحدات التي يقوم عليها، وما ينشأ بينها من ضروب العلاقات. وهذا الباب يفتح لنا مجال الخوض في الأجناس الأدبية وفي تاريخ الأدب"[١].

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على خصائص العمل السيرذاتي، وبيان العلاقة الأجناسية التي تربط السيرة الذاتية بالتاريخ بالوقوف على

(١) القاضي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، ٣٦.

سيرة استثنائية لرجل سعودي تقلد منصبا بالغ الأهمية خلال حقبة زمنية لا يستهان بها من عمر الوطن.

الدراسات السابقة: هذه المدونة حديثة، ولم تخص بدرس علمي أكاديمي من قبل، ولم يكتب عنها غير بضعة مقالات منشورة في الصحف اليومية السعودية، مثل مقالة د. عبد الملك آل الشيخ[١]، وزياد السبيت[٢]، وعلي الموسى[٣]، بالإضافة إلى ملخصات في بعض المواقع الالكترونية.

المنهجية: جعلت البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، أما المبحث الأول فجاء لدراسة العتبات؛ لأهميتها في بيان مكونات العمل السيرذاتي ودلالاته، وجعلت المبحث الثاني لدراسة المقومات الإنشائية للسيرة الذاتية، والثالث درست فيه السيرة من خلال مقوماتها السردية؛ لأن العمل السيرذاتي عمل سردي نثري يقوم على الحكي، وفي المبحث الرابع درست العلاقة التي تربط بين سيرة علي النعيمي وكتابة التاريخ وفق نظرية التناص والتفاعل الأجناسي.

---

(١) آل الشيخ، من البادية إلى عالم النفط، صحيفة مال الالكترونية.

(٢) السبيت، من البادية إلى عالم النفط، صحيفة الجزيرة.

(٣) الموسى، من البادية إلى عالم النفط، صحيفة عسير الالكترونية.

المبحث الأول: عتبات سيرة علي النعيمي

للعتبات أهميتها الوظيفية المرتبطة بالنص الأدبي؛ لأنها مفاتيح الدخول إليه، ورهانه الذي يعول عليه في الجذب، وستاره الجميل الذي يرتبط بالانطباع الذي يأخذه القارئ عن النص؛ لذلك حرص النقاد على دراسته، من بدايات النقد إلى يومنا هذا، وقبلهم كانت عناية المبدعين الذين تفننوا في رصده ورصفه، وإحكام بنائه.

وقد اخترت من تلك العتبات، أو المناصات ما وجدته في سيرة علي النعيمي، وما يصب مباشرة في مصلحة دراسته وتحليله، وبدأت بدراسة اسم الكاتب؛ بصفته عتبة لها أهميتها في تحليل السيرة بعامة، وسيرة علي النعيمي بخاصة.

-اسم الكاتب: "يعد اسم الكاتب من العناصر المناصية المهمة، فلا يمكننا تجاهله أو مجاوزته لأنه العلامة الفارقة بين كاتب وآخر، فبه تثبت هوية الكتاب لصاحبه، ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية على عمله"[(١)]، وإذا كانت هذه أهمية اسم المؤلف في الكتب بعامة، فكيف بأهميته في السيرة الذاتية بخاصة، ونحن نعلم أن اسم المؤلف في السيرة الذاتية ميثاق بين المؤلف والقارئ؛ إذ لابد من تطابق الاسمين في هذا النوع الأدبي، وأعني بالاسمين اسم المؤلف والسارد صاحب الشخصية الرئيسة في العمل السردي السيرذاتي.

وتزيد أهمية اسم الكاتب هنا إذا عرفنا أنه علي بن إبراهيم النعيمي رجل الدولة، ورجل النفط الذي أنفق عمره في قطاع النفط والسياسة في بلد بحجم المملكة العربية السعودية، إن اسمه إشهار، ودعوة للاطلاع والبحث عن إجابات السؤال.

---

(١) أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، ٦٣.

لقد جاء اسم المؤلف في هذا العمل أسفل الغلاف في مكان مميز على صدر صورة صاحبه التي استحوذت على غلاف الكتاب كله، صورة الوزير المعروف بهيئته التي طالما نشرتها الصحف وتعاقبت عليها وسائل الإعلام زمنا طويلا.

ثم يقع عنوان الكتاب أسفل الاسم مكتوبا بخط أكبر، حتى يتناغم العنوان مع الاسم بطريقة هرمية انسيابية تربط بين عنوان الكتاب واسم كاتبه، حتى ظننت للوهلة الأولى أن العنوان كان على النحو الآتي: علي بن إبراهيم النعيمي: من البادية إلى عالم النفط، أي أن اسم الكاتب جزء من العنوان، لكنني تراجعت عن هذا الظن عندما نظرت في صفحة العنوان الداخلي الذي تجرد من الاسم.

لقد حمل اسم الكاتب على عاتقه وظيفة التسمية أولا والإشهار ثانيا، أما التسمية فحفظت حق الكاتب في هذا العمل المحكم، وأسهمت في إنشائية الميثاق السيرذاتي، أو ما يسميه النقاد العقد القرائي، وجاءت الوظيفة الإشهارية قطعا لارتباط اسم الكاتب بالسياسة والنفط فنحن أمام علم معروف يحمل في جعبته كثيرا من التفاصيل التي يتطلع القراء إلى معرفتها.

-العنوان: في نظريات النص الحديثة يعد العنوان "عتبة قرائية وعنصرا من عناصر النص الموازية التي تسهم في تلقي النصوص، وفهمها وتأويلها داخل فعل قرائي شمولي، يفعّل العلاقات الكائنة والممكنة بينهما"[١].

"من البادية إلى عالم النفط": (من، إلى) وبينهما حكايات وآمال وخيبات وتحديات، تصلح تماما لأن تكون إطارا لتسلسل سردي لحكاية لها عمر وزمن ممتد؛ فالعنوان يتمثل في شبه جملة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف يمكننا أن نخمنه بسهولة،

(١) بازي، العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، ١٥.

فقد يتمثل في اسم الشخصية (علي النعيمي من البادية إلى عالم النفط)، أو أن يحمل تقديما سرديا مثل قولنا: قصة علي النعيمي من البادية إلى عالم النفط، ويمكن أن نقول: أبناء الجزيرة العربية من البادية إلى عالم النفط.

إن حذف المبتدأ من العنوان حذف يتسق مع غايات النص؛ لأنه يفتح أمامنا مختلف التأويلات، ويجعلنا نتخذ من تخميناته مفتاحا لقراءة المحتوى، والحقيقة أن هذه التأويلات منطقية مقبولة؛ لأن سيرة علي النعيمي تخرج من حدود الذاتية إلى أوسع نطاق؛ فهو يتحدث عن مسيرة النفط التي كان شاهدا عليها مذ كان طفلا صغيرا؛ حتى بلغ الثمانين من عمره، في رحلة أنفقها في خدمة الوطن.

-العنوانات الداخلية: للعنوانات الداخلية أهمية لا تقل عن أهمية العنوان الرئيس، لكنها غير ظاهرة للجمهور مما يضع فرقا بينها؛ فهي أقل مقروئية وأكثر تخصصا وتحديدا، ويمكنها أن تؤدي وظيفة العنوان الرئيس، مع ما لها من سمة الشرح والوصف والإضافة، بوصفها بنية سطحية مرتبطة ببنية العنوان العميقة، "فهي أجوبة مؤجلة لسؤال كينونة العنوان الرئيس، لتحقق بذلك العلاقة التواصلية بين العناوين (الداخلية والرئيسة)"[(١)].

لقد جاءت العنوانات الداخلية لهذه السيرة مشابهة لعنوانات فصول الروايات التخييلية، وبدلا من أن تحمل الإجابة عن سؤال العنوان الرئيس فقط، حملت الإجابات مع أسئلة أكثر عمقا، لننفتح على التأويل أكثر فأكثر.

وتمتاز العنوانات الداخلية للفصول في سيرة علي النعيمي بعدة ميزات، أولها: ارتباطها بالتاريخ والأرقام، وهذه الخطوة تؤكد وعي الكاتب بعمله الذي يربط

---

(١) بلعابد، عتبات، ١٢٦.

بين سيرته المهنية وسيرته الذاتية في تسلسل تاريخي يمكن التثبت منه بالرجوع إلى الأحداث المربوطة بزمانها، كما جاءت هذه العنوانات في سبك تخييلي يرتبط بالتصوير والرمز والتناص والسخرية في بعض الأحيان، مما يؤكد أدبية هذه السيرة من جهة، وارتباطها بالأدب والتاريخ من جهة أخرى، كما امتازت هذه العنوانات بعنصر التشويق مما يجذب القارئ إلى المطالعة والمعرفة.

ويمكن أن نقسم العنوانات الداخلية بحسب بنائها اللفظي والدلالي إلى ثلاثة أقسام:

١ - العنوانات المباشرة، التي تتمثل في الجمل وشبه الجمل ذات الدلالات المباشرة والمنفتحة على التأويل في الوقت ذاته؛ فالأدب كله خاضع للتأويل.

هذه العنوانات ارتبطت بالزمن، لكنها راوحت فيه بين مرونة الكلمات وصرامة الأرقام في بنائها اللفظي، وكأن علي النعيمي اكتفى بصرامة التعبير المباشر عن صرامة الحد الزمني، أو أنه أراد أن يشي بامتداد زمن الكدح حين فتح أبواب الزمن على مصراعيها لتشمل عقدا كاملا ليس له حد عندما قال: "السبعينات"، "بداية التسعينات".

تلك الفصول التي خضعت لعنصر المباشرة في العنونة، تمثل المراحل الأكثر قسوة في حياة علي النعيمي، فناسبت صرامة البناء قسوة الحياة، لكننا نستطيع أن نقول: إن تلك المباشرة في العنونة لم تنزل إلى شكل الكتابة، وهنا تكون المفارقة الدلالية بين مباشرة العنوان، وشعرية الكتابة؛ لأن علي النعيمي عُني فيها بالسرد وتفاصيله، وأسبغ على تلك التفاصيل من جمال اللغة ما يكسر حدة المباشرة.

(طفولة ورشد ١٩٣٥ -١٩٤٥، مغامرات صيفية ١٩٦١ -١٩٦٤، إلى الأعلى - السبعينات، وعد الشرق - بداية التسعينات، الألفية الثالثة سنة ٢٠٠٠ وما بعدها).

٢ - قسم العنوانات المجازية المتمثلة في الصور الفنية، والدلالات الرمزية، وتتفاوت عنوانات هذه الفصول بين التصوير القريب المعروف المتداول والإشارة البعيدة القابلة للتأويل، فعنوان "أسماك صاحب المعالي - أواخر التسعينات": وُضع لفصل يرصد إرهاصات تعيين علي النعيمي وزيرا للبترول والثروة المعدنية، حيث جاءه التكليف في رحلة لصيد السمك في (ألاسكا)، وفي هذا العنوان مفارقة واضحة في إضافة الأسماك للقب صاحب المعالي، فما الذي جمع بينهما؟

من المفارقات العجيبة، أن يكلَّف علي النعيمي بالوزارة حين يبدأ إجازة استجمام قبيل حصوله على التقاعد، فيذهب لصيد السمك الذي لا يحب أكله، وأثناء هذه الرحلة يظهر له دب كبير يفرّ منه ويترك له أسماكه التي اصطادها. هذه القصة التي سردها علي النعيمي تحاكي رحلته في الحياة؛ لقد كان علي النعيمي يهرب إلى السمك بحثا عن الدعة والراحة لكن الراحة بعيدة عنه بعده عن السمك الذي اصطاد.

إن السمك في الحضارات القديمة يرمز إلى الخصب والثراء[١]، والدب يرمز للحظ السعيد[٢]، لكن الدب التهم أسماك علي النعيمي، كما التهم حظه السعيد بالوزارة راحته.

---

(١) الثنيان، رمزية السمك عند الشعوب، المجلة العربية.

(٢) رمز ومعنى، مجلة جهينة.

ومن اللافت أن العنوانات المجازية كادت أن تلتزم بصراحة التحديد الزمني أكثر من العنوانات المباشرة، وكأن المؤلف لم يرد أن يجمع لهذه العنوانات أفقا أكثر اتساعا من التخييل، فآثر أن يضيف إليها تحديدا زمانيا، يضبط به الحدود.

(شد الرحال - ١٩٣٥، ختم الخروج ١٩٥٣ -١٩٥٩، الجمل الطائر - ١٩٥٩ -١٩٦١، أسماك صاحب المعالي - أواخر التسعينات، من قلب الصحراء - ١٩٩٥ -١٩٩٨، بين مد وجزر ٢٠٠٨ -٢٠١٤)

٣ - قسم يعتمد على التناص، الذي ينفتح على نصوص أخرى لأداء وظائف جديدة، فعنوان "السلم والثعبان -١٩٧٧ -١٩٨٣": اسم للعبة عالمية معروفة "وهي من الألعاب التي تعلم الصبر والمثابرة، وكانت أول نشأتها في الهند ثم انتقلت إلى إنكلترا ومنها إلى الولايات المتحدة[١]، ويشارك في هذه اللعبة أكثر من لاعب، ويمكن لمن وصل إلى القمة أن ينزل فجأة إلى الأسفل وفق نظام محدد، وقد استعار علي النعيمي اسم هذه اللعبة ليرمز إلى حال أسواق النفط التي تأثرت بالأزمات السياسية سلبا وإيجابا، وهبوطا وصعودا، في مقابل صبر وجلد شديدين من القائمين على صناعة النفط.

ولأن التناص أكثر انفتاحا على التأويل فقد التزم فيه النعيمي بالأطر التاريخية، ليضع أحداث تلك الفصول بين مدتين زمنيتين لا تزيد ولا تنقص، وجميع العنوانات المعتمدة على التناص تأخذ من روح نصها الأول، ثم تدخل في سيرة علي النعيمي لتشير إلى معان جديدة، وتؤكد سنة التكرار الزمني حين تعيد الأمثال قصتها، ويكرر التاريخ حكمته.

---

(١) جمال، ماهي لعبة السلم والثعبان وكيفية لعبها، موقع أبحاث.

(العود أحمد -١٩٦٤ -١٩٧٤، السلم والثعبان - ١٩٧٧ -١٩٨٣، إن مع العسر يسرا - ١٩٨٤ -١٩٨٩، الحرب والسلام - ١٩٩٠ -١٩٩٤، أعط الخبز خبازه (فصول من مبادرة الغاز)، بيت الحكمة - ٢٠٠٦ -٢٠٠٨، القافلة تسير - ٢٠١٤).

لقد كانت عنوانات علي النعيمي على اختلاف بنائها تمثل خط السير بين نقطتي البداية والنهاية التي رسمها العنوان الرئيس "من البادية إلى عالم النفط"، وقد أجاد النعيمي في توثيقها واختيارها، وهي وإن كانت شديدة الفقر على مستوى البناء الذي لا يتجاوز الجملة الواحدة، لكنها كانت "أكثر غنى على مستوى الدلالة"[١].

-الإهداء: "تنحدر ممارسة الإهداء من تقليد لاتيني، الشيء الذي يعني أن بعض الثقافات السابقة عنه، أو حتى الموازية له لم تعرف هذه الممارسة... وعادة ما يكون مرسل الإهداء في كتاب معين هو الكاتب نفسه وهنا تنتصب شخصية المؤلف، بكل رأسمالها الرمزي، لتملأ كل فجوات التوقع التي يمكن أن يثيرها السؤال البسيط: من الذي ينهض بالإهداء في خطاب مكتوب؟"[٢]، تجدر الإشارة إلى أن نوع المهدى إليه يتحكم كذلك في بناء الإهداء ورؤيتنا له؛ فالمهدى إليه يمكن أن يتفرع إلى نوعين غيري وذاتي، والغيري خاص وعام، "وكيفما كانت طبيعة المهدى إليه، فإن غموضا معينا يظل عالقا بفعل الإهداء، خاصة من حيث توجهه. من هنا يمكن القول، بأن كل فعل إهداء يستهدف على الأقل بالتوازي، نوعين من المرسل إليه: هناك المهدى إليه طبعا، وهناك القارئ أيضا الذي يكون حاضرا، بشكل ضمني، في حدث الإهداء

(١) الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، ٢٣.

(٢) منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ٥٤.

كفعل عمومي، فالقارئ لا يكون شاهدا فقط بل معنيا أيضا"[١]؛ ولذلك أطمئن تماما لدراسة الحمولة الدلالية لفعل الإهداء في الكتب بعامة؛ لأنه يحمل في بنائه طاقة شعورية كبيرة، تتصدر الكتاب، وتحمل بين حروفها دلالات نفسية ثقافية وفكرية؛ إنها الجزء المختصر المرتبط بالذات والآخر وبينهما يقع القارئ الذي يمتلئ بتلك الكلمات، ويحملها معه أثناء القراءة، بل ربما تجده يحاول فك شيفراتها بوعي منه أو بدون وعي.

أما إهداء علي النعيمي فكان من النوع الغيري لأشخاص غير معروفين للناس، لكن الرابط الذي يربطه بهم كان كفيلا بأن يهبهم حياته، نعم فسيرته الحافلة بالإنجازات كانت لهم، ولذلك اختارهم.

" أهدي هذا الكتاب إلى زوجتي ظبية،
التي لولا حبها ودعمها، لما أبصر هذا العمل النور.
كما أهديه إلى أولادي الرائعين،
ريم ورامي وندى ومحمد،
وأولادهم الذين يمنحونني الأمل"[٢].

هكذا جاء الإهداء، بهذه الهيئة في فضاء الصفحة السابعة لا يختلط معه شيء آخر؛ حتى يكون نسيج وحده، فيبقى أثره. وهو إهداء تقليدي على المستوى الظاهر فكل الكتاب يهدون إلى زوجاتهم وأبنائهم، لكن شخصية المؤلف، وزمن إخراج الكتاب بعد التقاعد جعلا لهذا الإهداء ألقا خاصا؛ لأنه المؤلف الذي أنفق جل عمره في العمل الشاق، بعيدا عن زوجته التي تحملت عنه حمل تربية الأبناء، فكان هذا

(١) السابق، ٥٥.

(٢) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٧.

الإهداء بمنزلة خطاب شكر لا يليق إلا بها، فقد انتهت رحلة العناء وعندما وقف الرجل متأملا وجد إنجازات زوجته في تربية الأبناء وفي توفير الجو المعين له ليصنع كل ما صنع.

ثم إنه بهذا الإهداء يقول: أنا الآن أعيش أجمل أوقاتي مع أسرتي، أقضي أوقات الحب بينهم؛ فهم يهبوني سعادة تعدل سعادة الإنجاز عندما كنت أعمل بجد.

ونجده يقول: زوجتي ظبية، ولم يقل زوجتي فقط، إن هذا في عرف البدوي فخر وحب؛ فقد كتب اسمها أولا في الإهداء، وهو الاسم الأول الذي جاء بعد اسمه في العنوان، لأنه أراد أن تكون معه في هذا العمل كما كانت معه طيلة حياته.

ثم عدّد أسماء أبنائه فقال: "ريم ورامي وندى ومحمد"، وذكر كلا باسمه حتى يخبرهم بأنهم شركاؤه في الإنجاز كذلك، وأن هذا الإنجاز يعنيهم بشكل أو بآخر.

أما أحفاده فلم يذكر أسماءهم؛ لأن المقام لا يسمح بذلك، وقال أولادهم ولم يقل أحفادي، ليؤكد بهذه الصياغة هدفه من التسلسل المنطقي للأجيال؛ لأنه رأى فيهم المستقبل الذي يتطلّع إليه، ويكرر الحديث عنه، لأنهم جزء من جيل كامل سيأتي بالنور الذي بدأ به، وبين النور والأمل قصة أجيال سوف تتحدى الصعاب لتكتب اسم الوطن في المحافل الكبرى كما فعل علي النعيمي.

لقد شهد هذا الإهداء على عمق العلاقة التي تربطه بزوجته، ومدى فخره بها، والقارئ للسيرة يجد ذلك في كل مرة يجيء فيه ذكرها، أما أبناؤه فكانوا يحملونه إلى معنى الحياة الحقيقي، وإلى التفاصيل الصغيرة التي ما كان ليلتفت إليها لولا وجودهم في حياته، وإذا كان أبناؤه خيط الوصل بين طريق العمل الشاق ومعنى الحياة الدافئ، فإن أبناءهم هم أمله الذي يعيش من أجله، ولذلك اختارهم رمزا للجيل الجديد.

-الاستهلال: ذلك المناص "الذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص، لاحقا به أو سابقا له، لهذا يكون الاستهلال البعدي أو الخاتمة (postfasce) مؤكدة لحقيقة الاستهلال"[١]. ومن الاستهلالات الشائعة: المقدمة/ المدخل، والتمهيد، والديباجة، والتوطئة، والحاشية، والخلاصة/إعلان للكتاب، والعرض أو التقديم، وخطبة الكتاب، وهناك ما يعرف بالاستهلال البعدي، الذي يتمثل في الخاتمة، ويضم أيضا كل من الملاحق والذيول[٢]، ويتجلى الاستهلال في المقدمة التي كتبها علي النعيمي في صفحتين تختصر محتوى الكتاب.

- المقدمة: و"ينفرد الخطاب المقدماتي بوضع اعتباري مميز، ضمن نظام الأجناس الخطابية للمصاحب النصي"[٣]، وأقصد به ذلك الخطاب النثري الذي يكتبه مؤلف الكتاب بعد الانتهاء من كتابه، وهو "العتبة الأساس التي تحملنا إلى فضاء المتن المركزي الذي لا تستقيم قراءتنا له إلا بالاطلاع عليها. إنها وعاء معرفي وأيديولوجي تختزن رؤية المؤلف وموقفه من العالم. فالمقدمة إذن، فضاء فسيح يتيح للكاتب العديد من إمكانات التعبير والتعليق والشرح"[٤].

أما مقدمة هذا الكتاب فذات أهمية كبرى بوصفها العتبة التي تضم فك شيفرات النص كاملا ؛ فقد لخص فيها سيرته ببراعة ؛ فكانت مقدمة جامعة غير مانعة استطاع من خلالها أن يقول كل شيء، وأن يحث المتلقي على الاستزادة منها في آن، ثم إن حل شيفرات العنوانات الداخلية يكمن في المقدمة.

---

(١) بلعابد، عتبات، ١١٢

(٢) انظر: السابق، ١١٢ - ١١٣.

(٣) منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة: ٦١.

(٤) أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، ٦٠.

وبالإضافة إلى هذا وذلك فإن علي النعيمي أعلن في مقدمته الهدف من كتابة سيرته، وأشار إلى مؤشرها الأجناسي الذي حجب عن الغلاف، وجاء عرضا في المقدمة.

لقد قال: "ومازلت لا أحفل بتدوين تجربتي إلا أن تقع في أيدي شباب المملكة والوطن العربي، فقد يجدون بين طياتها نموذجا يحتذى، وتجربة يوقف عليها. وما أنا إلا واحد من نماذج مشرفة كثيرة يزخر بها عالمنا العربي الذي كثيرا ما يساء فهمه مع الأسف. فأصبح زادا تلوكه وسائل الإعلام العالمية، وبؤرة تنقض عليها كاميراتها لتجسد الخلافات والصراعات ليس إلا. لكن هذا، وإن كان واقعا، لا يعبر عن حقيقتنا نحن العرب، فنحن بشر كغيرنا، لنا أسر نرعاها، وأطفال نعيلهم ونهتم بصحتهم وتعليمهم، كما أننا شعب مرح، مليء بالطيبة والعطف، يفيض حبا وإخلاصا. لذا آمل أن يسهم هذا الكتاب في إيضاح وجهنا المشرق"[١].

وقريبا من الهدف النبيل الذي صرح به النعيمي، فإن له قصدا إضافيا يظهر في لحن القول؛ فقد أثنى على نفسه بشكل غير مباشر. وبالمقابل فإن حزنا دفينا يظهر في ثنايا القول، يعبِّر عما يتعرض له العربي من ظلم وقسوة، وادعاء بالباطل في وسائل الإعلام العالمية، لقد أقضّت تلك المسألة مضجعه؛ إذ لم تشفع النماذج الجيدة لإظهار الصورة الحقيقية التي يستحقها العرب، ويتجلى حزنه أيضا في إشارته إلى صراعات بعض العرب مع بعضهم.

- **الخاتمة:** وتسمى بالاستهلال البعدي[٢]، وفيها شبه كبير بالمقدمة من حيث تلخيص الأحداث من غير تكرار، ولقد ضمن علي النعيمي هذه الخاتمة ما يشبه

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٢٨٦.

(٢) بلعابد، عتبات، ١١٣.

التوصيات ومن ذلك قوله: "على صناعتنا النفطية أن تحتفي بهذا الواقع، وأن تشرح على نحو أفضل الأهمية الحيوية لهذه الموارد الطبيعية الثمينة"[١].

ثم جاءت وقفة الختام، تلك الوقفة التي وجد فيها علي النعيمي نفسه أمام عمر من العمل الجاد الحافل بالعطاء والإنجاز، عمر تحول من حقيقة تعاش إلى حرف مكتوب لابد له من ختم اعتماد وتوثيق تجلى في قوله: "أما أنا فأعتز بالدور الذي أديته خلال عملي في أرامكو السعودية، منذ أن كنت ساعيا فيها، إلى أن أمسكت بدفة قيادتها، وأفخر بالسنوات الإحدى والعشرين التي توليت فيها وزارة البترول والثروة المعدنية... فقد عشت حياة شخصية ومهنية رائعة بكل المقاييس، وعلى الرغم من بلوغي ثمانين حولا، انقضت سبعة عقود منها في العمل بقطاع النفط، أظل أولا وأخيرا مواطنا ينتمي إلى المستقبل ويحمل نظرة تفاؤلية، فمن يدري ماذا سيحمل لنا الغد؟"[٢].

-التصدير: "مصاحب نصي من جنس خطاب الاستشهاد، بل إنه "الاستشهاد نفسه بامتياز""[٣]، والتصدير نوعان؛ استهلالي وختامي، ولن تجد في سيرة علي النعيمي غير الختامي؛ حيث اقتبس أقوالا لشخصيات مرموقة عرفته وكتبت عنه، فجعلها بمنزلة شهادات تقدير بحقه تحت عنوان: "قالوا عن النعيمي"، وفي هذا التصدير اثنتان وثلاثون شهادة لشخصيات مرموقة تعترف للنعيمي بالفضل، وتشيد بحكمته ودهائه، وكأنه يقول: إذا كنتم لا تصدقون ما قلت عن نفسي، فإليكم ما قاله الآخرون، لقد شهدوا بصحة ما قلت.

---

(١) علي النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٢٨٦.

(٢) السابق، ٢٨٧.

(٣) منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ٥٨.

لقد كانت تلك الشهادات "كلمة الختام الحاسمة" حتى وإن سمح المؤلف بتخصيصها لذات متلفظة أخرى"[١]، وقد اقتبس منها الناشر شهادات لشخصيات غربية ؛ ليسوّق للكتاب، ويؤكد النظرة الإيجابية التي يحملها الآخر لعلي النعيمي.

- **صفحة الغلاف:** يدخل الغلاف في نطاق النص المحيط النشري، بمعنى أن اختياره يقع على كاهل الناشر بالاتفاق مع المؤلف، أو من غير اتفاق، ويسمى بالنص المحيط لأنه يرتبط بالمظهر الخارجي للكتاب،[٢] ويمكننا تحليل الغلاف بالنظر إليه بوصفه نصا له دلالاته الإحالية والإيحائية، وغلاف هذه السيرة صورة صاحبه بهيئته المعروفة المقيدة بحدود اللونين الأبيض والأسود، ويمكن تحليلها بالنظر إلى "وجه الإنسان، جسده وظله، عيناه وأنفه، وقوفه وجلوسه، ليرسم خطوط سيرورة دلالية بالغة الغنى والتنوع. ويكفي أن نشير في هذا المجال إلى كل الدلالات التي يمكن الحصول عليها من خلال التنويع في الوضْعات (poses)، وهكذا من خلال أشكال الحضور الجسدي (الزوايا والخطوط والنظرة)، لندرك أن الإنسان لا يدل في الصورة من خلال "إنسانيته" وإنما يدل من خلال أشكال حضوره الجسدي. وعلى هذا الأساس، فإن النظرة، من هذه الزاوية، تعد تقطيعا للمدرك، إنه تقطيع تقوم به الذات المبصرة في أفق تشكيل وخلق موضوع لنظرتها"[٣].

وهكذا فإن صورة علي النعيمي في الثمانين من عمره تأتي للدلالة على حياة كاملة قضاها في الانتقال من البادية إلى عالم النفط، وللتأكيد على عمر من الخبرة والحكمة، لابد من الالتفات إليها والأخذ منها، حتى كأن هذه الصورة تتحدث

---

(١) السابق، ٥.

(٢) بلعابد، عتبات، ٤٩.

(٣) بنكراد، سيميائيات الصورة الإشهارية الإشهار والتمثلات الثقافية، ٣٥.

فتقول: خذوا مني، وانقلوا عني، وأفيدوا من شيخ مازال صلبا شامخا كما ترون. أما تلك التجاعيد فشاهدة على عمر من الكد والعمل.

وتجيء الصورة لتنقل هيئة الرجل واقفا، ولذلك دلالته التي ترتبط بالثبات والشموخ والصلابة، لكن صورة الغلاف اكتفت بالنصف الأعلى من جسده وتوقفت عند منتصف الصدر، في إشارة إلى الشجاعة والإقبال على الحياة بحلوها ومرها، أما نظرته باتجاه اليمين فتدل على الحدة والذكاء والإيجابية، واعتماد النظارة في الصورة يدل على وضوح الرؤية، وبعد النظر، والثقة بالنفس.

وتنحصر ألوان الغلاف بين اللونين الأبيض والأسود وبينهما تدرجات الرمادي؛ فثياب المؤلف كلها بيضاء، وخلفية الصورة سوداء، حتى إننا نستطيع تمثل قول القائل: "وبضدها تتبين الأشياء"[1]، وكأن هذين اللونين عنوان لسمات شخصية لرجل عرف الفرق بين الحق والباطل والسواد والبياض، فاختار الوضوح عنوانا لحياته، وبين هذين اللونين تظهر بشرة الوزير، المشابهة للون الصحراء التي خبرها جيدا.

(١) المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ٢٢/١.

المبحث الثاني: إنشائية سيرة علي بن إبراهيم النعيمي

السيرة الذاتية وفق ميثاق فيليب لوجون: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة"[١]، وبناء على هذا التعريف فإن إنشائية السيرة الذاتية ترتكز على أربعة مقومات:

١ -**شكل اللغة:** (حكي، نثري)، أي أن العمل السيرذاتي عمل سردي بما يملكه من مقومات السرد المعروفة، وهذا يفضي بنا إلى دراسة ما يكون به العمل به سردا وفق المقومات الإنشائية المعروفة للسرد، وسوف أقف عليها (بإذن الله) بالتفصيل في المبحث الثالث من هذه الدراسة.

٢ -**الموضوع المطروق**: "حياة فردية، وتاريخ شخصية معينة"[٢]: لقد سردت سيرة علي النعيمي قصته، وتناولت حياته وحده، لكنه كان يمتلك حبا كبيرا لوطنه، وأهل بلده، لذلك اختلطت تفاصيل ذاته مع حكاية أجيال شهدت على تطور هذا الوطن وازدهاره.

٣ -**وضعية المؤلف:** تطابق المؤلف "الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية"[٣]، ويمكن أن يتحقق القارئ من ذلك بطريقتين؛ الأولى طريقة ضمنية، وتظهر في مستوى العلاقة بين المؤلف والسارد، عن طريق استعمال عنوانات لا تترك شكا حول إحالة الضمير إلى اسم المؤلف مثل (حكايتي، سيرتي، قصتي)، أو عندما تتضمن السيرة الذاتية في

---

(١) لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ٢٢.

(٢) السابق، ٢٢.

(٣) السابق، ٢٢.

نصها الأول التزاما أمام القارئ بطريقة تجعله لا يحمل شكا حول نسبة العمل إلى ضمير المتكلم[١]، وقد كفل لنا علي النعيمي سيريَّة عمله عندما قال: "وها أنذا أكتب سيرتي غير طامع بمجد ولا ساع إلى شهرة"[٢].

٤ -**وضعية السارد:** وذلك عندما تتطابق شخصية السارد والشخصية الرئيسة، ويكون نقل السارد للأحداث من منظور استعادي، أي أن السارد يروي قصة حياته من خلال ما تسترجعه الذاكرة، وهذا الشرط متحقق في سيرة علي النعيمي؛ فهو الشخصية الرئيسة التي تروي سيرة حياتها وما مر بها من أحداث.

و"غالبا ما يتحدد تطابق السارد مع الشخصية الرئيسة من خلال استعمال ضمير المتكلم، وهو ما يطلق عليه جيرار جانيت السرد "القصصي الذاتي" ...غير أنه بين بوضوح كيف يمكن أن يوجد حكي بـ"ضمير المتكلم" دون أن يكون السارد نفسه هو الشخصية الرئيسة"[٣] وبناء عليه فإننا يجب أن نفرق بين الضمير النحوي والضمير المعنوي الذي يحيل على تطابق الشخصية الرئيسة مع السارد[٤]. ولا يتوجب على كاتب السيرة الذاتية أن يستعمل ضمير المتكلم مطلقا؛ إذ لا مانع من وجود ضمائر أخرى، إذا حققت بقية المقومات سيريَّة العمل.

وفي هذا العمل لم يخرج النعيمي إلى ضمير الغائب أو المخاطب وهو يتحدث عن نفسه، لكنه في الحالات القليلة التي استعمل فيها ضمائر أخرى في القص لم يخرج عن الحد الذي ينبغي لكاتب السيرة الذاتية الالتزام به، ولم يصل بالقارئ إلى درجة

---

(١) السابق، ٣٩.

(٢) السابق، ١٠ -١١.

(٣) لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ٢٥.

(٤) انظر، السابق، ٢٥.

اللبس، لكنه الضمير الذي يمكن أن يتدرج به من الاختصاص بالذات إلى الإحساس بالآخر، ولذلك يمكنني القول إن الضمير في هذه السيرة يتجلى في عدة أشكال:

-ضمير المتكلم (تاء الفاعل): ويظهر هذا الضمير عندما يتحدث عن نفسه في أموره الخاصة جدا، مثل حديثه عن ولادته ودراسته وزواجه، إنه يقول: "أصبحت موظفا رسميا في أرامكو، إلى جانب دراستي التي كنت شغوفا بها. وأصبحت بذلك العائل الرئيسي لأسرتي على الرغم من صغر سني"(١).

-ضمير المتكلمين (ناء الدالة على الفاعلين): ويظهر هذا الضمير عندما يسرد النعيمي حكاية جيله بصفته جزءا منه، وشاهدا عليه، إنه يقول: "وعلى الرغم من حداثة سننا نحن الطلاب، إلا أننا أدركنا أهمية اقتناص فرصة التعليم، فلم يزغ بنا الطيش، أو يستبد بنا اللهو، بل كنا نمتص المعارف، كالإسفنج"(٢).

-ويظهر ضمير المتكلمين كذلك عندما يدخل النعيمي في حالة عجيبة من التماهي مع الوطن، والانصهار في المجموعة، وربما يظهر ذلك في الشاهد الآتي: "مهما يكن لم نخش التنقيب عن النفط هناك. فقد أجرى جيولوجيو الشركة مسحا على أطراف الربع الخالي منذ عام ١٩٣٨، ثم عادوا إلى المنطقة بعد قرن من الزمان... لكننا لم نعثر على النفط في البئر رقم ١ في الشيبة إلا في عام ١٩٦٨، ومع مرور الوقت عرفنا بأن حقل الشيبة يبلغ طولا ٦٤كلم وعرضا ١٣ كلم تقريبا"(٣).

-ضمير الغائب: يظهر هذا الضمير حين يتحدث علي النعيمي عن إنجازات الآخر التي أسهمت في صناعة النفط، أو غيرت في مسيرة حياته، فتراه يسرد الحكاية

---

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٤٠.

(٢) السابق، ٣٩.

(٣) السابق، ٢٠٦.

كاملة بوصفه شاهدا على العصر: "اقترن اسم خميس بن رمثان برجل لا يقل عنه أسطورية، كان هو الآخر ملهما لي في سنواتي الأولى... اسمه ستاينكي"[١].

إنني أفسر ذلك بأنه نوع من أنواع التصالح مع الذات، يصل إلى مرتبة لا ترى في الإشادة بالآخر نقصا، إنه يحب أن يقول الحقيقة كاملة، وأن يثني على من يستحق الثناء، وهذه صفة من صفات الإداري المحنك، والقائد المخلص. لقد دأب كُتّاب السيرة في سردهم الخاص على ألا ينازعهم فيه أحد، لكن علي النعيمي كان مختلفا.

-وقد يأتي ضمير الخطاب في سيرة النعيمي غير مرة، عندما يروي الحوارات التي وجهت إليه أو قيلت له، ومن أمثلة ذلك حوار دار بين علي النعيمي وأحد المسؤولين في شركة أرامكو، عندما كان يحاول أن يكبّر عمره كي يحصل على وظيفة يعيل بها أهله: "يا علي نحن نعرفك! أنت ولد طيب، ولكن لابد لك من الحصول على إذن الحكومة"[٢].

بقي أن أشير إلى اسم العلم بوصفه دلالة على التطابق بين اسم المؤلف وسارد الحكي والشخصية الرئيسة؛ لأنه موجود خارج النص على الغلاف وداخله، وهو بذلك صلة بين الاثنين[٣]، لكن الإشكالية تكمن في وجوده داخل النص غالبا؛ لأن كثيرا من النصوص السيرذاتية لا تكرر اسم العلم داخل النص؛ إذ ليس من المعقول أن يكرر المرء اسمه وهو يتحدث عن نفسه، ومع ذلك فقد تكفلت سيرة علي النعيمي

(١) السابق، ٢٦.

(٢) السابق، ٤٣.

(٣) لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ٣٤.

بنسبة هذا العمل إلى اسم المؤلف العلم داخل النص وخارجه، مثل قول النعيمي: "وأخيرا أنا علي الصغير"[١].

لكن أمورا أخرى قد تقلل من أهمية اسم العلم في السيرة الذاتية، مثل الاسم المستعار، ونسبة الأحداث إلى "شخص مجهول تحت اسم مؤلف جديد تماما"[٢]، لكن ذلك كله غير موجود في سيرة علي النعيمي؛ فاسم العلم ظاهر، ونسبته إلى صاحبه الذي تحمل نشر الكتاب بنفسه معلومة معروفة.

ثم يضيف د. أحمد آل مريع إلى تلك المقومات السابقة، مقومات معلومة يمكن أن تندرج تحت ما سبق، لكنه أراد أن ينص عليها لأثرها في تأطير الحدود السيرذاتية، مثل توخي الحق، والشمول، والامتداد الزمني[٣].

٥ -توخي الحق/ الصدق النسبي: إن مسألة الصدق والكذب في السيرة الذاتية مسألة مثيرة للجدل، وقد تحدَّث عنها جل نقاد السيرة الذاتية، والمراد منها الصدق الواقعي؛ لأن السيرة الذاتية تتطلبه "كما تتطلب الصدق الفني؛ فالأول لأنه الحقيقة التي يفتش القارئ عنها ويرجو من الكاتب أن يرشده إليها، والثاني لأنه الوسيلة التي تؤدى بها الحقيقة... أما الحق الكامل فشيء ليس في مقدور الإنسان، والله لا يكلف الإنسان فوق طاقته"[٤].

---

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ١٨.

(٢) الرياحي، هكذا تحدث فيليب لوجون كتابة الذات، اليوميات الحميمة، التخييل الذاتي، ٢٧.

(٣) انظر: آل مريع، السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، ٩٦.

(٤) السابق، ١٣٦ -١٣٧.

وقد كان علي النعيمي ملتزما بهذا الشرط إلى حد بعيد؛ لأنه لن يسيء إلى ذاته المعروفة باختلاق أحداث ليس لها وجود، إنه يستطيع أن يروي الأحداث من وجهة نظره، لكنه لن يزيفها أو أن يختلقها.

٦ -**الشمول:** ويقصد به "اشتمال السيرة الذاتية على الجوانب المختلفة للشخصية"[١]، ويقصي آل مريع بهذا الشرط سيرا تناولت الحياة المهنية لكتَّابها، لكنني لا أتفق معه في ذلك على الإطلاق، لأن الشمولية التامة شرط لا يمكن تحقيقه، فلو أن الحياة انتظمت في السيرة "بشكل كامل لكانت سيرة الفرد في مجلدات؛ فالكاتب السيرذاتي ينتقي من الحياة الأحداث الأبرز التي تعني القارئ بشكل أكبر"[٢]، ولعل سيرة النعيمي خير شاهد على ذلك فهي سيرة أقرب ما تكون إلى المهنية، وهذا ظاهر حتى في عنوانها، لكنها في الواقع عمره الذي ليس له وجود سواه.

٧ -**الامتداد الزمني:** ويعني به "إيجاد فضاء مناسب تتطور فيه الشخصية على مهل؛ فيسهل على القارئ مراقبتها ويحس بأثر الأحداث فيها... وما الإنسان إلا سلسلة من التطورات كل حلقة مرتبطة بما قبلها وما بعدها"[٣]، وهذا الشرط متحقق في سيرة علي النعيمي؛ فقد تشكَّلت شخصيته في مساحة من التطورات التي بدأت قبل طفولته حتى وصلت إلى النقطة التي اختارها نهاية لكتابته.

---

(١) السابق، ١٠٣.

(٢) الجنوبي، سير الشعر الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١٩.

(٣) آل مريع، السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، ١٠٤.

المبحث الثالث: إنشائية السرد في سيرة علي النعيمي

"يرى تودوروف أن لكل أثر أدبي جانبين: فهو في آن واحد حكاية وخطاب. هو حكاية من حيث هو يصور حقيقة ما وأحداثا يجوز أن تقع وشخصيات تختلط مع شخصيات واقعية. وقد تأتينا تلك الحكاية في شكل شريط سينمائي أو رواية شفوية أو نص مكتوب. والأثر خطاب إذ أن الحكاية يقدمها راو لقارئ. وهنا لا نهتم بالأحداث المروية ولا بالشخصيات التي تقوم بها، ولكن الشأن للطريقة التي يجعلنا الراوي ندرك بها تلك الأحداث والشخصيات"[١].

- الحكاية:

١ -**الأحداث:** "مدار هذا المستوى على استخراج العلاقات الرابطة بين الأعمال في القصة، دون اعتبار لما بينها وبين عناصر النص الأخرى من صلات"[٢]، ويمكننا عند دراسة الأحداث أن ننظر إلى مكونات القصة، وعلاقات الأحداث ببعضها، "أما فيما يخص المقاطع (التامة) فإنها يمكن أن تترابط وفق ثلاث طرائق"[٣]، وهي التضمين، التتابع والتسلسل، التناوب أو المراوحة أو الضفر.

وفي السيرة الذاتية لا يمكن أن نتصور سردا للأحداث يتدرج بنا نحو العقدة حتى نصل إلى الانفراج؛ لأن السيرة الذاتية تروي حياة شخص بعينه في تسلسل شبه زمني متتابع، لا يمكن أن نقتطع منه جزءا واحدا؛ إنه سلسلة من الأحداث التي تتابع على الإنسان في طفولته وشبابه وكهولته، وسلسلة من السرد الذي يرى صاحبه

---

(١) القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ٥٣ -٥٤.

(٢) السابق، ٥٤.

(٣) قسومة، علم السرد المحتوى والخطاب والحكاية، ١٦١.

وجاهة النطق به للإشادة بعمله، أو لتخليد ذكره. ربما تتتابع الأزمات وتتكرر نقاط الذروة، وربما تبدأ الأزمة مع السرد، وربما تكون الرواية عادية دون مزيد من الإثارة، لكن مع كثير من التشويق الذي يجعل العمل السيرذاتي ناجحا على أي حال.

وفي سيرة علي النعيمي تتابعت الأحداث في تسلسل زمني متعمد، لكنه غير مقيد؛ لأن أحداث الحياة بطبيعتها متداخلة، والسرد في سيرة علي النعيمي يقدم وجاهة الحدث على حكم الزمن؛ فالعلاقة السردية للأحداث عنده علاقة حدثية أيدولوجية نفسية زمنية مكانية، بالترتيب الذي ذكرت من جهة الأهمية.

وقد يكسر علي النعيمي التتابع الحدثي بتضمين قصة داخل التسلسل الحدثي؛ بغرض التوضيح، أو التشويق، أو الإشادة، وهو بذلك لا يرهل الأحداث، بل يضيء جوانبها، ويكمل تفاصيلها؛ حتى تظهر بحلة أجمل وأبهى، مثل حديثه عن حكم آل سعود للجزيرة العربية في الفصل الأول.

ثم حرص علي النعيمي على ترابط الفصول، بأن يختمها بخلاصة أو تعليق، يمهد بها للفصل القادم مثل قوله: "وعلى الرغم من الفرحة الغامرة بتطوير مواردنا تحت الظروف القاسية السائدة في الشيبة... إلا أنني لم أجد الوقت الكافي للاحتفال. فهناك بوادر معركة داخلية تلوح في الأفق، ستتطلّب صراعا مستميتا من أجل الشركة التي أحبها. وإن الحرب مبدؤها كلام"[١].

٢ -**الزمان.** الزمن في السرد زمنان؛ زمن المغامرة وزمن الخطاب، و"زمن المغامرة أو المحتوى هو فترة الزمن العامة التي تنتسب إليها المغامرة أو أحداث المحتوى، فهو -إذن - زمن واقع موقعا ما من التاريخ (أو يفترض أنه كذلك)"[٢].

---

(١) علي النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٢١٦.

(٢) قسومة، علم السرد المحتوى الخطاب الدلالة، ٨١.

والزمن في السير الذاتية يأخذ موقعه من التاريخ قطعا، وهو عادة زمن طويل نسبيا؛ لأن السير الذاتية العادية تستغرق بعدا زمنيا طويلا، حتى لو كانت من النمط الجزئي الذي ينحصر في سرد تجربة أدبية أو مهنية؛ لأن ذلك النوع من السير يرتبط بالتطور المهني أو الإبداعي في مراحل حياة الكاتب المختلفة، وما عدا ذلك فإنه لا يدخل في نطاق السير الذاتية، بل يدخل في إطار آخر من كتابة الذات.

ولقد كانت سيرة علي النعيمي سيرة طويلة متشعبة بدأت قبل ولادته؛ بسرد أحداث مهمة مصاحبة لها، وانتهت عند النقطة التي اختارها نهاية لسرده.

وبخصوص التحديد الزمني، فإن السير الذاتية قد تختلف مستوياتها من حيث التأريخ الدقيق، ويرتبط ذلك بعوامل مختلفة مثل الذاكرة، والعمق الشعوري للشخصية الساردة، والهدف من الكتابة كذلك.

أما علي النعيمي فقد التزم كثيرا بالأطر الزمانية؛ لأنه يربط بين عمره والتطور التاريخي للمملكة العربية السعودية، في حالة نفسية شعورية عميقة، تربط بين الوجود والمكان، فقد كان يرى ذاته متجلية في الوطن، حتى شعر أن إنجازات وطنه إنجازات شخصية له؛ فكان من السهل عليه اتباع التحديد الزمني؛ لأنه يشير إلى أحداث موثقة تاريخيا معروفة للملأ.

ومع ذلك، فإن الأزمان تتداخل بتداخل الموضوعات المسرودة؛ والضبط التاريخي يتكرر؛ نظرا لوجود أكثر من حدث في البعد الزمني الواحد، ويظهر هذا في العنوانات الداخلية؛ حيث تكررت الأزمنة بدءا من العنوان الثامن (إلى أعلى - السبعينات)، فالتاسع الذي يبقينا في السبعينات (السلم والثعبان - ١٩٧٧ - ١٩٨٣)، ثم ندخل في التسعينات مع الفصل الحادي عشر (الحرب والسلام - ١٩٩٠ - ١٩٩٤)، وتأخذنا بقية العنوانات بالمراوحة صعودا وهبوطا بدءا من

الفصل الثاني عشر (وعد الشرق - بداية التسعينات) إلى (أسماك صاحب المعالي - أواخر التسعينات) ولو أن الترتيب الزماني كان المقصد والهدف لالتزم المؤلف بسرد الموضوعات بتسلسلها الزمني فقط، لكن أهمية الموضوع كانت أكبر من أهمية الزمن عنده؛ فقد عاد إلى التسعينات في الفصلين الرابع عشر والخامس عشر (قلب الصحراء - ١٩٩٥ - ١٩٩٨)، (أعط الخبّاز خبازه (فصول مبادرة الغاز) - ١٩٩٨ -٢٠٠٣) وبذلك نتأكد أن الذات والموضوع، كانتا أهم من التاريخ، مما يؤكد بقاء هذا العمل في إطار الأدبية والذاتية.

بقي أن أشير إلى أن سيرة علي النعيمي تخضع حتما لحدود الزمن النفسي الذي من شأنه أن يغفل تماما عن مدة زمنية بعينها فيسقطها؛ نظرا لوجود عناصر أكثر أهمية منها في حياة الكاتب، ويحدث أن يطول الزمن ويقصر بحسب المزاج والحالة النفسية؛ فتراه يبسط القول عن مرحلة الطفولة ويوجز الحديث عن مرحلة المراهقة، وهكذا.

٣ -**المكان.** للمكان أهمية كبرى في دراسة النص السردي بعامة، "وتختلف ممارسة المكان بين الكتاب بحسب الأنواع القصصية"[١]، وفي السيرة الذاتية لا يمكن أن يكون المكان متخيلا إلا في حدود ما تسمح به اللغة الأدبية، وذاكرة الكاتب السيرذاتي، أومشاعره؛ فقد تصنع مشاعرنا من مكان ما جنة، وقد تصيره سجنا مقيتا كذلك.

وفي سيرة علي النعيمي نجد المكان الحقيقي الواقعي واضحا جليا، ولمسة التخييل فيه لا تتعدى ما تضيفه اللغة الأدبية من صور أوتشبيهات. ويمكن أن يبدأ

(١) قسومة، علم السرد المحتوى الخطاب والدلالة، ١٠٤.

التحديد المكاني من صفحة الغلاف أو من العنوان تحديدا (من البادية)؛ إذ كانت البادية هي نقطة الانطلاق المكاني حيث تحدث عنها في الفصل الأول تحت عنوان "شدُّ الرحال" في إشارة إلى طبيعة الحياة التي كان يعيشها الإنسان هناك، وقد وصفها علي النعيمي بعناية بالغة تؤكد انتماءه لها، وحضورها الواضح في ذاكرته، حيث قال: "عشنا في خيام تشبه الصناديق، مصنوعة من شعر الماعز الأسود، ندعو واحدها "بيت الشعر". حين نحل بأرض ترحالنا الموسمي تفتح خيامنا عادة في اتجاه الريح، وتقسم بسواتر قماشية لثلاثة أقسام: قسم للرجال والضيوف، وقسم لأهل البيت، وقسم يجعل لأغراض الطهي. ينسج قماش الخيمة على نحو ينفذ الهواء، ويرد الرمال إلى حد ما، أما الأرض فتفرش بالسجاد"[1].

وعلى الرغم من أن نقطة الانطلاق كانت مكانية لكنها لم تكن الغاية، لذلك لم يصل إليها علي النعيمي في العنوان ولا في الكتاب كله، فلم تكن نقطة النهاية ولا آخر المراد؛ فقد قال من البادية لكنه لم يقل إلى العالم، بل قال: إلى عالم النفط، وهذا يشير إلى أن المكان وإن كان أرض الانطلاق؛ لأنها تمثله وتمثل جذوره وانتماءه الذي لا يتخلى عنه لكنه لن ينطلق إليه، بل سينطلق منه، لا ليصل إلى غيره بل ليبقى فيه، على الأرض التي أنجبته وصنعته، فما زال يصر على انتمائه إلى البادية، ويتحدث عن طبيعته البدوية حتى آخر سيرته، لكن مراده كان مستقبل الإنسان، لذلك كان عالم النفط فضاء واسعا حمل الذات ومستقبل الاخر إلى آفاق ليس لها حدود.

---

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ١٧.

ثم تفرض الحياة على علي النعيمي أن يترك البادية وأن ينتقل بين مدن المملكة للعيش مع أبيه أولا، ثم لكسب لقمة العيش ثانيا، وللتعلم ثالثا، وقد وصف مدرسته التي تعلم فيها فقال: "نقلت مدرسة الجبل إلى الحي السكني في منزل ذي طابقين مبني من صخور الخليج المرجانية. اختير للمدرسة موقع في الشارع الرئيسي، الذي كان طريقا ترابيا عريضا تصطف على جانبيه الشاحنات المغبرة، وذلك مقابل مكتب رئيس الحي وبجوار قسم المحاسبة"(١).

ثم ينتقل ابن البادية إلى خارج الوطن، لتحضر الدهشة ويرى ابن البادية صورة جديدة غير مألوفة للمكان، هذه الدهشة لن تتكرر في سرد النعيمي السيرذاتي، لأنها الدهشة الأولى للمكان المغاير، لذلك وثقها النعيمي بقوله: "أسرتنا بيروت وجبالها بمناظرها الساحرة وجوها العليل، فقد كانت في تلك الفترة قبلة المصطافين وجنة السائحين. حتى حرم الجامعة أبهرنا بحدائقه الغناء ومبانيه الفخمة، التي تختلف تماما عن المنازل المتواضعة والمكاتب المغبرة في الظهران والقرى المجاورة له"(٢).

لقد نالت دهشة المكان الجديد حظها من الوصف، ذلك الوصف الذي لم تحظ به بقية الأماكن التي زارها علي النعيمي بعد ذلك، فها هو لقاء أمريكا يأتي باردا عابرا دون شحنة مشاعرية: "منطقة منهاتن مكتضة ومربكة جدا، حتى لمجموعة من المهندسين والجيولوجيين الذين يرتادون الجامعة"(٣).

ثم يحضر المكان بكثافة عالية، تتناسب مع طبيعة المناصب التي سيرتقي فيها علي النعيمي، وبهيئة تتناسب مع أهدافه من كتابة السيرة؛ إذ يشير إلى بلاد كثيرة،

---

(١) السابق، ٣٦.

(٢) السابق، ٤٩.

(٣) السابق، ٦٩.

لكنه لا يقف عندها معتنيا بتفاصيلها مندهشا بلقائها؛ لأن أهمية الحدث كانت أبلغ من حدود المكان، ولذلك قال: "جبنا أرجاء المعمورة تلك بحثا عن أرض خصبة لنشاطنا"[١].

خيل لي أن علي النعيمي كان يحرم نفسه من التفكير في المكان مادام منشغلا بالعمل، وأنه لن يسمح لذهنه أن ينشغل بشيء آخر غيره -من فرط جديته - ولذلك لا تجد وصفا للمكان مع صخب المفاوضات، ولهيب الاجتماعات، لكن وصفا جميلا يتسلل إلى سيرته عندما هدأت روحه، وانفلت من قيود العمل عندما كان في إجازته التي سبقت تعيينه وزيرا بأيام، حيث قال: "استقبلني مشهد خلاب، أنهار صافية كالبلور تتدفق بين رياض مربعة، وجبال شاهقة غطَّت أفق ألاسكا. وكنا قرابة وقت الانقلاب الصيفي"[٢].

والملاحظ على سيرة علي النعيمي أنه لا يصف المكان من الداخل إلا نادرا، وإنما كانت جلّ أماكن الوصف عنده أماكن مفتوحة وكأنه ينظر للمكان من الأعلى، ولا يهمه أن يعنى بتفاصيله الدقيقة؛ فقد كان يرى المكان من الخارج دائما، ولعل ذلك يرتبط بشخصية الرجل العملية، وهدفه من كتابة السيرة.

وعندما جاء بالوصف من الداخل لم يكن من إنشائه، بل كان نقلا عن صديقه الذي قال: "كان لديهم حي سكني كما تعلمون، يضم بيوتا جميلة تطل على الشاطئ، جعلوها للعمال الأجانب. أما السعوديون فكانوا صنفين، مُنح الأعلى

---

(١) السابق، ١٧٤.

(٢) السابق، ١٨٣.

وظيفة بيوتا فيها مراوح ولكن بلا تكييف، أما الباقون فسكنوا الخيام. وأذكر أن الخيمة الواحدة كانت تؤوي أربعة أشخاص""[١].

ومع انصراف النعيمي عن وصف المكان، لكن الجيولوجي الذي يسكنه فرض عليه أن ينظر إلى المكان من الناحية الجيولوجية التي ترتبط بالبحث عن النفط واستخراجه، ولذلك سيطر المكان على فصل كامل من سيرته (من قلب الصحراء - ١٩٩٥ -١٩٩٨)، لارتباط المكان هذه المرة بعمله: "كثير لا يعرفون حقل الشيبة، فهو يقع في جنوب شرق البلاد في صحراء الربع الخالي، التي لها من اسمها كل نصيب، فهي أكبر صحراء رملية في العالم إذ تبلغ مساحتها ٦٥٠ ألف كلم٢، وتشكل عجيبة من عجائب خلق الله... كنا قد حفرنا ٥٠ بئرا استكشافية في الشيبة. فحرصنا على حفر هذه الآبار العمودية في المسطحات الملحية بين الكثبان الرملية العملاقة التي كنا نتتبعها عبر الأقمار الصناعية منذ الستينات، فعرفنا بأنها لا تنجرف مع الوقت على غرار معظم الكثبان الرملية، ومع أن الرياح تنفض الرمال عن سطحها لكن شكلها الأساسي بقي على حاله، ويرجع ذلك على الأرجح إلى الرطوبة التي ترشح إلى قاعدة الكثبان من السباخ المحيطة بها"[٢].

لقد كانت علاقة النعيمي بالمكان ترتبط بنوعه، لذلك انحصرت في شكلين من العلاقة؛ علاقة شعورية وطيدة متمكنة من النفس راسخة في عمق الشعور؛ إنها علاقته بوطنه الذي قضى حياته كلها في خدمته، أما العلاقة الثانية فكانت علاقة نفعية تحضر لتؤدي الوظيفة السببية للحدث، وتؤطر الذكريات في إطارها الزمكاني فقط،

---

(١) السابق، ٥١.

(٢) السابق، ٢٠٥ - ٢٠٧.

وفي الحالتين لم يكن علي النعيمي يحمل للمكان أية مشاعر سلبية تضعه في خانة المكان المعادي.

٤ -**الشخصيات.**لا يمكن لقارئ سيرة ذاتية أن يتصور لشخصية ما حضورا بارزا يطغى على حضور كاتبها مهما بلغ من التجرد وإنكار الذات، إنه بذلك ينفي عن سيرته شرطا من شروطها، ويهد أحد مقوماتها، وبناء على هذا فإن شخصية المؤلف هي الشخصية الأبرز على مستوى العمل السيرذاتي، مع ضرورة وجود شخصيات أخرى تدور في فلك الشخصية الرئيسة، وتسهم في تسيير الأحداث معها وحولها.

و"الشخصية عنصر أساسي من عناصر النص السردي، إذ إن سائر العناصر القصصية تنتظم انطلاقا منها"[١]، هذا في الأعمال السردية بعامة، أما في السيرة الذاتية فإن الشخصية تعد أساسا ؛ لأن العمل يكتب لها، ومنها يبدأ وإليها يعود.

وسيرة علي النعيمي مليئة بالأسماء والشخصيات الرفيعة، ولا عجب في ذلك ؛ فكاتبها وزير لقطاع له أهميته العالمية، ولذلك فإن قارئ هذه السيرة على وعد بتنوع الشخصيات واختلافها.

لقد تحدث علي النعيمي عن ملوك المملكة العربية السعودية بدءا من الملك عبد العزيز آل سعود (طيب الله ثراه) وكفاحه للوصول إلى الحكم وتوحيد أركان الدولة، وصولا إلى أبنائه الملوك الذين واصلوا المسير من بعده.

وتنوعت علاقة علي النعيمي بشخصيات سيرته، فهناك علاقات القرابة وصلات الدم، وعلاقات الصداقة والزمالة، وعلاقات أقامها أثناء عمله في الوزارة.

---

(١) القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ٥٥.

وشخصيات ذات صفة مرجعية حقيقية، عاصرت الكاتب، وكان لها أثرها في حياته بشكل مباشر أو غير مباشر، منها الشخصيات المعروفة التي لا يضيف وصفه إليها شيئا لشدة معرفة الناس بها مثل رؤساء الدول، الذين كان ذكرهم يأتي عرضا لا لوقوعهم في نفسه، بل لوقوعهم في سيرة عمله، ولذلك فإنه لا يتكفل بوصفهم، لكنه يعرِّف بهم من خلال مواقفهم وحواراتهم، ومن ذلك قوله: "حين سافرت إلى واشنطن في أبريل ٢٠٠١ للقاء بعض إدارة بوش، وجدت بأن نائب الريس ديك تشيني، الذي يملك خبرة في الحكومة... قد اتخذ زمام المبادرة في توجيه بوصلة الإدارة الجديدة نحو قضايا الطاقة... كما التقيت كذلك بوزير الطاقة الأمريكي سبنسر أبراهام"(١).

وعلى صعيد آخر نجد شخصيات أخرى لم يكن لها أهمية في السياسة العالمية، لكن أثرها في نفس النعيمي كان كبيرا، ولذلك ميّزها بصدارة الحديث، حيث قال: "ينتمي والدي إلى قبيلة النعيمي، أما والدتي فاطمة فهي من قبيلة العجمان، وكلتاهما قبيلتان ذائعتا الصيت في شبه الجزيرة العربية. أثناء عمل والدي مع خالي في مواسم الغوص لصيد اللؤلؤ تزوج بوالدتي قبل بلوغها الرابعة عشرة من عمرها. حملت اسم قبيلة والدي، لكني ولدت وترعرعت بين أخوالي العجمان، إذ طلقها أبيأبي بعد سنوات من الزواج، وقد كانت حاملا بي آنذاك. قد يستهجن البعض هذا الأمر، لكنه غير مستغرب في البادية، فلم تنبذ والدتي بسبب طلاقها... بل أعيدت هي وأولادها بكل بساطة إلى أسرتها الأكبر. وهناك تزوجت أمي مجددا، كما كان لأبي أولاد من زوجات أخريات، لكننا لم نكن على تواصل"(٢)، ثم قال: "جئت خامس

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٢٣٠.

(٢) السابق، ١٨،

خمسة: يوسف، ومريم التي توفيت قبل ولادتي، وعلي وعبد الله، وأخيرا أنا علي الصغير"[١].

هكذا حرص النعيمي على أن يعرِّفنا بأسرته فردا فردا، بدءا من أبيه وصولا إلى إخوته، وكذلك جاء على ذكر خاله، وأخيه من جهة الأم وزوجة أبيه، لكنه لم يخص أحدا منهم بالوصف إلا أمه، حيث قال: "كانت أمي امرأة بدينة لطيفة المعشر، لا يتجاوز طولها مترا ونصف، تتشح بالسواد كأغلب نساء البادية، وتتزين بحلى فضية بسيطة"[٢]، ولعله فعل ذلك؛ لأنه أراد أن يحتفظ بصورتها المحببة إلى نفسه في الذاكرة قبل الورق.

ثم حظي أخوه عبد الله بشيء مما حظيت به الأم؛ نظرا لمكانته الكبيرة في نفسه، يقول: "عندما كنت في الثامنة من عمري، أرسلتني أمي للعيش مع والدي وسرعان ما تعلقت بأخي عبد الله، الذي كان طالبا في مدرسة الجبل بالشركة. يكبرني عبد الله بخمس سنوات، كان طويلا نحيلا بالغ الوسامة. لزمت أخي كظله، فقد كان بعد والدي أول الذين أراهم يتحلون بعاطفة الأبوة. أذكر أني قلت في نفسي: "لقد فقدت أهلا هناك، لكني وجدت هنا أخا سيعتني بي" وسرعان ما أدركت أن حياتي على وشك التغير، فقد أيقظني عبد الله ذات صباح قائلا: "انهض يا علي، أريدك أن ترافقني"، أجبته بأني مرتاح ههنا، لكنه ألح بقوله: "فلنذهب إلى المدرسة"، وعندما سألته ما المدرسة؟ أجابني: "عندما نصل ستجد أولادا مثلك".

---

(١) السابق، ١٨.

(٢) السابق، ١٨.

كان عبد الله، شأنه شأن كثير من أترابه، يعمل ساعيا في أرامكو إلى جانب دراسته. فقد التحق مبكرا بموجة التوظيف الثانية التي بدأت عام ١٩٤٤م"[١].

وقد خصّ النعيمي هذين الاثنين بالوصف؛ لأنهما يمثلان الأمان في حياته؛ لذلك وجد أنه من الوفاء أن يخلِّد ذكرهم في كتابه، أو أن يستعيد صفتهم وأمانهم في نفسه وقلبه، فلم ينس علي أمه التي حرم من حضها وهو ابن ثماني سنوات، ولم ينس أخاه الذي عوضه عن حنان أمه بحنان أبوي فريد.

ومن جهة أخرى خلَّدت مشاعر الفرح صورة أخرى في هذه السيرة، تلك الصورة بقيت حاضرة في ذهنه، لم يغيرها الزمن، ولم تشوه نضارتها مروره، إنها صورة زوجته ظبية التي رآها أول مرة: "دخلت عليَّ فتاة فاتنة الجمال، بهية الطلة، زادها حسنا شعر مموج شديد السواد، لا تتجاوز السادسة عشرة أو السابعة عشرة، إذ كانت تدرس في سنتها الأخيرة في الثانوية. تلك كانت ظبية"[٢]، ويبدو أن النعيمي يحتفظ بصورتها هذه إلى الآن؛ لأنها المرأة التي استطاعت بذكائها أن تجعل جمالها خالدا في النفس بما قدمته لزوجها من دعم ظل يشيد به في متن الكتاب وعتباته[٣].

ثم يحضر في هذه السيرة وصف يسير لشخصيات استثنائية أثارت الدهشة في نفس علي النعيمي بما تخلقه من مفارقات مثل شخصية زميله بيتر؛ إذ تحدث صورتهما معا نوعا من أنواع المفارقة الساخرة، إنه يقول: "شارك بيتر في المشروع البحثي نفسه فأصبح رفيق الطريق. لكن أوجه الشبه بيننا كانت شبه معدومة. فقد كان شعري أسود، وطولي لا يتجاوز ١٦١ سنتيمترا، بينما تجلت جينات بيتر الهولندية في شعره

(١) السابق، ٣٦.

(٢) السابق، ٧٦.

(٣) انظر: السابق، ٧.

الأشقر، وطوله الفارع الذي يفوقني بثلاثين سنتيمترا على الأقل حيث كان يتقوقع ويحني ظهره ويثني ركبتيه في المقعد المجاور طوال الطريق"[١].

ويبدو أن نشأة النعيمي القاسية جعلته يدين بالولاء لكل من يحنو عليه، ويعلمه بإخلاص، ولذلك خص النعيمي مدير برنامج الابتعاث بشيء من حديثه، حيث قال: "كان مدير البرنامج (بول كايس) رجلا ضخم الجثة، طويل القامة، ذا شعر جعد قصير. وكان يضع نظارة أضفت على تعامله الأبوي مزيدا من الحنان"[٢].

هكذا كانت الشخصيات كثيرة جدا في سيرته، لكنها لم تنل من السرد السيرذاتي إلا ما شاء لها علي النعيمي، ولذلك ظلّت شخصيته طاغية على مساحة السرد، ممسكة بزمام الوصف وتسيير الأحداث.

-الخطاب:

١ **-الزمن.** لا يمكن لقارئ السيرة أن يتصور تطابق الزمن في الحكاية والخطاب بناء على مرجعية الشخصيات، وواقعية الحدث، فللكتابة السردية أحكام لا تفرق بين سيرة ورواية؛ لأن طبيعة الكتابة واحدة؛ وليس من الضروري "أن يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما، أو قصة، مع الترتيب الطبيعي لأحداثها –كما يفترض أنها جرت بالفعل –، فحتى بالنسبة للروايات التي تحترم هذا الترتيب، فإن الوقائع التي تحدث في زمن واحد لابد أن ترتب في البناء الروائي تتابعيا، لأن طبيعة الكتابة تفرض ذلك مادام الروائي لا يستطيع أبدا أن يروي عددا من الوقائع في آن واحد"[٣].

---

(١) السابق، ٦٥.

(٢) السابق، ٥٦.

(٣) لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ٧٣.

ومع أن السرد السيرذاتي يقوم على استرجاع أحداث ماضية، لكنه لا يفرض الاسترجاع بوصفه تقنية خطابية على الكتابة السيرذاتية ؛ فلكاتب السيرة أن يتصرف في تزمين أحداثه وفاق رؤيته الخاصة، وضابطُه في ذلك الهدف والرغبة وما تمليه عليه الذاكرة. وما يهم القارئ من ذلك كله أن يخرج العمل السيرذاتي بطريقة سردية منطقية مشوقة ملتزمة بمواثيق السيرة وضوابطها.

أ -الترتيب: " إن الاختلاف بين زمنية الحكاية وزمنية الخطاب من حيث طبيعة كل منهما يجر حتما في الخطاب إلى ضروب من التصرف في الزمن. فينشأ عن ذلك ارتداد في الزمن واستباق"[(١)].

-الاسترجاع: الاسترجاع، أو الارتداد هو: "سرد لاحق لحدث سابق للحظة التي أدركتها القصة"[(٢)]، وبناء عليه فإن الرجوع إلى الوراء لسرد حدث سابق للحظة التي كان السارد بصددها يعد استرجاعا، وأمثلته كثيرة في سيرة علي النعيمي، ومنها قوله: "وعودا على أمور العمل فقد بقيت أعيننا مفتوحة على الصين"[(٣)].

-الاستباق: وهو عكس الاسترجاع ؛ لأنه "سرد حدث لاحق أو ذكره مقدما"[(٤)]، ووجوده في سيرة علي النعيمي محكوم بطريقته في القص ؛ لأن الموضوع هو العمدة في السرد، وبناء عليه، فإنه يشير إلى أحداث سيتحدث عنها لاحقا، وشاهد هذا قوله: "وأخيرا صدق حدس ستاينكي. ففي ٤ مارس ١٩٣٨ وصلت برقية إلى سان فرانسيسكو تفيد بأن البئر رقم ٧ ينتج نفطا بمعدل يتجاوز ١٥٠٠ متر فقط،

---

(١) القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ٥٩.

(٢) مؤلفون، معجم السرديات، ١٧.

(٣) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ١٧٦.

(٤) مؤلفون، معجم السرديات، ٢١.

سيسميه الملك عبد الله رحمه الله "بئر الخير"، وستعرف جيولوجيا الطبقة الجيرية الحاوية للنفط بالطبقة العربية"[١].

لم يكن تلاعب علي النعيمي بترتيب الأحداث ليخلق نوعا من اللبس أو التشويه في بيان الأفكار، وفهم الأحداث؛ فقد كان ممسكا بزمام السرد، مسيطرا على الحبكة بطريقة منطقية تنزل الحدث في موضعه المناسب له، لقد نجح علي النعيمي في ذلك، في حين فشلت سير أخرى لكتاب معروفين، وقفت بنفسي على نماذج من تلك السير. إن صناعة الحدث وإحكام تسيير أزمانه ليس بالعمل الهين.

ب - السرعة (المدة): "ليس من شك في أن المدة التي يستغرقها إنجاز لحدث تختلف عن المدة التي يستغرقها الحديث عنه أو قراءته"[٢]، وتتجلى مدة السرد في التلخيص، والحذف، والمشهد، والوقفة.

-التلخيص أو الخلاصة: "وتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل"[٣]، ويكثر ذلك عند النعيمي؛ لأن حياته تزخر بالتفاصيل التي لا يرغب في إهمالها، أو ذكرها على وجه التفصيل.

ويكثر عنده التلخيص في بدايات الفصول ونهاياتها، ولا ينجو منه أوساطها، ومن ذلك حديثه عن الثورة الإيرانية وأثرها على أسواق النفط العالمية في مطلع الفصل التاسع من هذه السيرة حيث قال: "كانت أخبار الشرق الأوسط هي حديث الساعة في وسائل الإعلام أواخر سبعينات القرن العشرين. فمع نهاية عام ١٩٧٧ ومطلع

---

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٢٨.

(٢) القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ٥٩.

(٣) لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ٧٦.

١٩٧٨، احتدمت المظاهرات المناهضة لحكم الشاة في شوارع طهران، وانتشرت أصداؤها عبر المدن الإيرانية الكبرى، فأخذ زمام الأمور يفلت شيئا فشيئا من يد حكومة الشاة حتى أصيبت بالشلل أواخر عام ١٩٧٨. كنا نولي أمر إيران اهتماما خاصا بما أنها منتج رئيسي للنفط"[١]، لقد استطاع النعيمي أن يحدثنا عن الأزمة باختصار شديد؛ لأنه سيتحدث بعد ذلك عن تأثير تلك الأحداث في سوق النفط. وهكذا فإن علي النعيمي يجمل الأحداث الموصلة إلى الحدث الأهم من وجهة نظره، حتى يأخذ الحدث الأهم حقه من العناية بالبسط والتفصيل.

-الاستراحة، أو الوقفة الوصفية: والاستراحة عبارة عن "توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية ويعطل حركتها. غير أن الوصف باعتباره استراحة وتوقفا زمنيا قد يفقد هذه الصفة عندما يلتجئ الأبطال أنفسهم إلى التأمل في المحيط الذي يوجدون فيه"[٢]، وهذا ما ينطبق على هذه السيرة؛ لأن النعيمي لا يملك الوقت لإيقاف لحركة لسرد؛ فقد كان يعزم على جمع الأحداث المهمة -من وجه نظره - في هذا الكتاب، وإنما كان الوصف عنده ضالعا في السرد، ولم يعطله مطلقا.

-القطع أو الحذف أو الإضمار: ويلجأ السارد في كثير من الأحيان إلى تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة إليها بشيء ويكتفى عادة بالقول مثلا: ومرت سنتان"... غير أن الروائيين الجدد استخدموا القطع الضمني الذي لا يصرح به الراوي، وإنما يدركه القارئ فقط بمقارنة الأحداث بقرائن الحكي نفسه"[٣]، وعند علي

---

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ١١٥.

(٢) لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ٧٦.

(٣) السابق، ٧٧.

النعيمي تجد القطع الضمني والقطع الصريح، أما الصريح فيظهر جليا للقارئ مثل قوله: "ولم أتوقع أن تمتد بي المفاوضات لخمسة عشر عاما، لكني كنت طويل البال ولله الحمد"[١].

أما القطع الضمني فكان الأبرز في هذه السيرة، ويستطيع قارئها أن يقف عنده بسهولة، لاسيما عندما ينتقل النعيمي من موضوع إلى آخر.

-المشهد: ويتمثل في "المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد. إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق"[٢]. ويمكن القول إن الحوار يشكل ١٠ ٪ من عمر سيرة علي النعيمي في تقديري، هذا إذا استطعت أن أسميه حوارا؛ لأن حواره لا ينجو من سرد، وربما كان حوار علي النعيمي مع النادلة التي قابلها في إحدى مغامراته الصيفية أطول حوار شهدته هذه السيرة.

"عندما أتت النادلة قلت لها بكل ثقة: "أريد أن أتناول (الأنتيلوب)" أي الظبي، فنظرت إليّ باستغراب وأجابت: "نحن لا نقدم الظباء" فقلت: "بلى تفعلون، إنه ههنا على قائمة الطعام"، وقد كانت بعض مطاعم ريف وايومينغ تدرج الظباء بالفعل على القائمة، إلا أن هذا المطعم لم يكن أحدها، فقالت: "آه أنت تعني (الكانتالوب) " أي الشمام. وما زلت أذكر كيف أشاح بيتر بوجهه نحو النافذة مبتسما خشية الإمعان في إحراجي"[٣].

---

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ١٧٦.

(٢) لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ٧٨.

(٣) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٦٨.

٢ -**التبئير.** و"التبئير من مباحث الصيغة والصوت. وهو انتقاء للمعلومة السردية أداته بؤرة واقعة في مكان ما هي ضرب من المصفاة لا يسمح إلا بمرور المعلومة التي يخولها المقام"(١)، أو ينتقيها الراوي. ولأننا نتحدث عن سرد سيرذاتي فإن المنطق يقضي بأن تبئيرها داخلي، أي أن البؤرة تقع داخل شخصية يسميها جونات شخصية بؤرية تنتهي من خلالها المدركات والأفكار"(٢).

إن السيرة الذاتية "أكثر صيغ الحكاية شخصية ومع ذلك لا يتحقق التبئير الداخلي [فيها] بكيفية صارمة تماما"(٣)؛ لأن بعض السير "تزاوج بين ضربين من التبئير هما التبئير الصفر والتبئير الداخلي حسب مصطلحي ج جينات. فالسارد من ناحية يريد أن يظهر أنه أعلم من الشخصية وأكثرها إدراكا وأقدر منها على الفهم"(٤).

وهكذا كانت سيرة النعيمي، فلم يلجأ إلى التبئير الصفر إلا في حدود ضيقة؛ تلك الحدود التي يروي فيها أحداثا سابقة لزمنة، أو أحداثا لم يحضرها بنفسه، وما عدا ذلك، فإن التبئير كان داخليا من البدء حتى الختام، فانطبقت على شخصيته سمات الشخصية البؤرية.

---

(١) مؤلفون، معجم السرديات، ٦٥.

(٢) السابق، ٦٦.

(٣) الباردي، عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١٢٥.

(٤) السابق، ١٢٧.

المبحث الرابع : التفاعل الأجناسي بين سيرة علي النعيمي والتاريخ

إن التنظير للأجناس الأدبية قضية ضاربة في دراسات نظرية الأدب، وقد كثر الكلام حولها من النقاد في الشرق والغرب، بعد التحول الكبير الذي طرأ عليها ؛ فبعد أن كانت الأجناس منغلقة محصورة في أنواع محددة، حصل الانفتاح الأجناسي عن طريق الممارسات الإبداعية التي تقوم على فكرة "تجاوز مفهوم الجنس والتحرر من القيود والمواضعات الفاصلة بين مختلف الأجناس"[١]، ومع ذلك فإني أستطيع القول إن دراسة التفاعل الأجناسي، أو ما يسمى بتداخل الأجناس لم يلق حظا كبيرا من العناية النقدية عند العرب والغرب، لكننا نستطيع أن نستشفه من خلال بعض الطروحات النقدية القديمة عند العرب الذين تحدثوا عن السرقات وحل المنظوم ونظم المنثور. وكذلك درسه الغرب بشكل غير مباشر بوصفه جزءا لا يتجزأ من نظرية التناص، فهو "مرحلة لازمة في البحث في شعرية الأجناس"[٢]، وقد نبه جيرار جانيت له حين تحدث عن النصية الجامعة مما يضع الباحث "على درب العلاقة بين التناص بمفهومه الضيق أو الواسع ومسألة الأجناس الأدبية في إشكالياتها المتعددة "[٣].

واختارت بسمة عروس مسمى التفاعل الأجناسي للعلاقات التي تربط الأجناس ببعضها ؛ لأنه يتناول التداخل بين الأجناس الكبرى، ووضعه سعيد يقطين ضمن المستوى العام من التفاعل النصي (التناص) ؛ لأنه المستوى الذي يعنى برصد

---

(١) بن رمضان، الأدب العربي القديم ونظرية الأجناس، ٧.

(٢) عروس، التفاعل في الأجناس الأدبية مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة، ١١٠.

(٣) بنخوذ، فن السيرة في التراث العربي، ٥٣٥.

"بنية النص ككل مع بنية نصية أخرى منجزة تاريخيا"[١]، وبعضهم يدرجه ضمن التناص بعامة دون مزيد كد وتصنيف لأن التجنيس عنصر نقدي عصي على الضبط، وقادر على العبور.

والسيرة الذاتية ليست بمعزل عن هذه التفاعلات، بل إن السيرة في أصلها "من النصوص المهجنة"[٢]، بمعنى أنها جنس منفتح على أجناس أخرى أدبية وغير أدبية.

ما يلتقي فيه التاريخ مع الأدب أن "المعرفة التاريخية في جوهرها صياغة سردية، تطمح إلى إعادة تشكيل عالم إنساني مندثر. لذلك لا نشك البتة في أنها تتأسس في بوتقة الفعل الكلامي، وتنشأ عنه وتفهم في صلبه، أي بالنظر إلى نواميسه وسننه وآلياته فإذا صلة الملفوظ الواقعي من هذه الجهة بمقومات الملفوظ السردي صلة وثيقة متينة، مؤثرة بلا ريب في طبيعة المعرفة التاريخية ونوعيتها، لأنها تصاغ في إطار مفهومي سردي يكيفها ويضفي عليها سماته العامة والخاصة"[٣].

إن النقاد الذين درسوا العلاقة التي تربط التاريخ بالسيرة صنفوا حضور التاريخ في الأدب من باب حضور نص سابق (التاريخ) في نص لاحق (السيرة)، وكانت تطبيقاتهم على السيرة والرواية، وكان هذا الوجه الوحيد الممكن لتلك العلاقة[٤]، لكن ماذا لو كانت السيرة أسبق من التاريخ؟

لقد تجلى التاريخ في السيرة الذاتية بعامة، وفي سيرة علي النعيمي بخاصة من خلال عدة مستويات، أولها استدعاء السيرة لتاريخ سابق لها، وقد تجلى ذلك في سرد

---

(١) يقطين، انفتاح النص الروائي النص والسياق، ٩٣.

(٢) آل مريع، السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، ٩٣.

(٣) الطريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث بحث في المرجعيات، ١٩٣.

(٤) القاضي، الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي، ٢٣.

علي النعيمي لأحداث تاريخية تناولت إرهاصات تأسيس الدولة السعودية حيث قال: "حكم آل سعود في الجزيرة العربية عريق، يعود إلى سنة ١٧٢٠ على أقل تقدير، إذ انطلق من مدينة الدرعية شمال الرياض، آخذا تأثيره بالانتشار خلال القرن التاسع عشر، متصديا للحملات الشعواء التي شنتها القبائل الموالية للدولة العثمانية آنذاك. كان التحدي كبيرا للأسرة الحاكمة، ولاسيما أن آل سعود لم يروا التحالف مع بريطانيا العظمى، الباسطة نفوذها في المنطقة، والمهيمنة على أجزاء كثيرة من العالم وقتها"[١]، وكان المسوغ لهذا السرد التاريخي محاولة الربط بين هذا الوجود التاريخي للدولة السعودية، والوجود البشري لإنسان هذا الوطن الذي حافظت الدولة على كرامته ومقدراته، ويمثله علي النعيمي الإنسان، حيث قال: "لم يكن قد مضت ثلاث سنوات على تأسيس دولتنا الفتية يوم أبصرت عيناي النور، فقد نصر الله الملك عبدالعزيز حين خرج طالبا ملك آبائه وأجداده، يجمع شعث بلاد تفرقت على رقعة الجزيرة العربية بين أقاليم وهجر تحكم نفسها، عُدته إيمانه بالله، وعتاده رجال حملوا الشجاعة والصبر قبل السيوف والبنادق، فأرسى بتوحيدها أركان الدولة التي حملت اسم آل سعود"[٢]. إذن، فسيرة علي النعيمي هنا تستلهم التاريخ ولا تغذيه.

ولا تعارض هنا بين التاريخ بوصفه خطابا نفعيا في المقام الأول، والأدب المتمثل في السيرة بوصفها خطابا جماليا تتساوى أدبيته مع مرجعيته؛ لأن علي النعيمي وظف التاريخ في سياق متسلسل لا يزج بالأحداث في سياق غير سياق الإنسان الذي تُروى سيرته.

---

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ١٤.

(٢) السابق، ١٤.

أما المستوى الثاني من وجوه العلاقات التي تربط بين هذه السيرة الذاتية والتاريخ، فيتجلى في ارتباط الحاضر بالحاضر والماضي بالماضي أي أن العلاقة علاقة آنية تكاد أن تكون تفاعلية؛ فالسيرة هنا لا تستدعي أحداثا سابقة لوجودها بل تروي أحداثا مزامنة لها بوصفها "وثيقة تاريخية شاهدة على مختلف تجارب الذات الإنسانية، وهي خطاب مؤهل لحفظ الأحداث والوقائع، والمواقف من الضياع والتحريف، على الرغم من أنها تؤدي الوظيفة التاريخية بصيغة أدبية، ... ومن المؤكد أن العلاقة القائمة بين أدب السيرة الذاتية والتاريخ، تسمح له بأن يكون أداة تفسر ما يكتنف الأحداث من غموض، وتكمل ما قد يشوب المرويات التاريخية من نقص"[(١)]. وهذا المستوى من الالتقاء بين السيرة والتاريخ يسجل للقارئ مرويات يعرفها؛ لأنها مرت عليه في الأخبار والصحف لكنه لا يعرف تفاصيلها.

ولقد درب كتاب التاريخ على الأخذ من معين السير بعامة لما كانوا يجدون فيها من معلومات مفيدة. إن هذا ليس بجديد، ولا أستغرب أن يتكرر هذا الفعل من جديد[(٢)] في ظل تزايد الكتابة السيرية في العصر الحديث.

وربما يُعترض على ذلك من باب وقوع السيرة الذاتية في منطقة مرجعية لا تخلو من التخييل، وأنه من غير المنطقي أن نعول عليها كثيرا في كتابة التاريخ؛ لأننا لن نحاكم كاتب السيرة الذاتية بما يقول في سيرته، ولا يمكن أن نخضع سيرته الذاتية لمعياري الصدق والكذب، ولهذه الاعتراضات وجاهتها، لكني أعود لأقول: إن التاريخ لن يأخذ وقائعه من أي سيرة ومن أي رجل كان! فليست السير الذاتية كلها مؤهلة لأن تكون مصدرا رافدا للتاريخ، والعمدة في ذلك على أمور أولها: أن يكون

(١) وفكوح، أدب السيرة الذاتية إضاءات وإضافات، ١٣٣ -١٣٤.

(٢) انظر: بنخوذ، فن السيرة في التراث العربي، ٥٦١ -٥٦٧.

كاتب السيرة الذاتية من الثقاة المعروفين بسلامة الفكر، وحسن التوجه، لأن "صدق الإحساس، والبعد الأخلاقي الشامل... يكفيان لهز نفس القارئ"[١]، ثم إن كاتب السيرة الذاتية يجب أن يكون كائنا معروفا ذا هوية تاريخية "ثابتة غير مطعون فيها أصلا"[٢]، فلا يجوز أن نأخذ التاريخ من مجهول، أو من مدعى عليه، منسوب إليه.

ما يميز هذه السيرة تاريخيا اسم صاحبها ووجوده في قلب صناعة التاريخ، بل إني أعده من صناع تاريخ النفط في المملكة العربية السعودية، فقد كان وزيرا للنفط على مدى واحد وعشرين عاما، ولم تكن تلك بالمدة اليسيرة، فضلا عن تدرجه في صناعة النفط منذ كان ساعيا إلى أن صار جيولوجيا مما يجعله على علم بكثير من التفاصيل.

أما الأمر الثالث فيرجع إلى ظهور السيرة في زمن غير بعيد عن أحداثها بعقود طويلة أو قرون؛ حتى يتسنى للمتلقي أن يكون شاهدا ومشهودا عليه برضاه وقناعته، إن هذا الشرط يتشابه مع ما يشترطه الرواة في قبول الأحاديث والأخبار، مع اختلاف درجة الصرامة في القبول والرفض، بين ما تتطلبه رواية النصوص المقدسة، وما تشترطه النزاهة التاريخية لقول الحقائق. وإذا كان التاريخ القديم لم يشترط ذلك من قبل فإني أظن أن الكتابة الحديثة لابد أن تكون على قدر كاف من المسؤولية للاضطلاع بهذه المهمة في ظل وفرة الكتابة، والتقاء العالم شبكيا بالصلات المتنوعة.

ومن الاعتراضات التي يمكن أن تأتي في سياق كتابة السيرة للتاريخ، أن يقال: إن السير الذاتية لا تكتب كل شيء فقد يسقط كاتب السيرة الذاتية أحداثا، وينتقي أخرى بوعي أو بدون وعي، ويمكن الرد على ذلك بأن "الحدث التاريخي

---

(١) ماي، السيرة الذاتية، ١٤٤.

(٢) الطريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث بحث في المرجعيات، ١٨٨.

مفهوم خاضع للانتقاء دائما"[١]، وأن كاتب التاريخ لا يحيد ذاته على الدوام؛ فالتاريخ يرضخ كثيرا لرغبة الكاتب في التفسير والتعليل والانتقاء أحيانا. "إن التاريخ عندما يحل في جسد الكتابة، يتحول إلى ذاكرة مكتوبة أي خالدة، محملة بمآسي البشرية وملاهيها ومثقلة بالطموح والارتقاء إلى منازل أرفع، لذلك فإن الموضوعية التاريخية، لا ينبغي أن تتحرج من إصدار الأحكام أو تقويم تجارب الماضي، وإلا انقلبت إلى ضرب من التأريخ للتأريخ لا طائل من ورائه"[٢].

ويبقى السؤال قائما: ما الداعي للأخذ عن السير والتاريخ قائم وموجود، وإجابة ذلك أن السيرة يمكن أن تكون أكثر جذبا لما تتمتع به من جماليات غير موجودة في التاريخ، وأنه أكثر عناية بالتفاصيل الإنسانية التي قد ينظر إليها التاريخ نظرة عامة. إن المرء حين يسمح لنفسه الراغبة في البوح يقول ما لا يقوله المؤدي لعمله، إن السر يكمن في الخيط الدقيق الذي يفصل بين الأدب والعلم.

لقد تميزت سيرة علي النعيمي بسرد التفاصيل الدقيقة التي تروي بدايات خروج النفط في المملكة، والصعوبات التي صاحبت ذلك، تلك التفاصيل الدقيقة لا أظن أن التاريخ سيعنى بها، مع ما للتاريخ من انفتاح على الأدب من حيث الانتقائية في سرد الأحداث، "وكلما انغمس مؤلف السيرة الذاتية أكثر في التفاصيل الدقيقة لذكرياته، وكلما ضاعف الذكريات الواقعية ... ازددنا شعورا بأن انفعاله ذاك هو انفعالنا"[٣]، لذلك فإن السيرة الذاتية تكون أكثر تأثيرا على المتلقي في كثير من الأحيان.

---

(١) السابق، ١٩٥.

(٢) السابق، ٢٠١٥.

(٣) السابق، ١٤٨.

فالميزة هنا أن السيرة تسجل للتاريخ وتوثق، بل وتروي بعض التفاصيل الدقيقة التي من شأنها أن تهب الحدث التاريخي واقعيته، وألق العناية بالتفاصيل، إن القارئ تستفزه التفاصيل أكثر من العموميات.

ويمكن أن تكون السير الذاتية أكثر جذبا للمتلقي من كتب التاريخ لسبب آخر، يمكن أن يكون نفسيا مرتبطا بأفق التلقي عند الناس؛ فالناس أكثر فضولا لمعرفة حكايات غيرهم، ذلك الفضول لا يدفعهم كثيرا لمعرفة الحقائق التاريخية والبحث عنها في مظانها، أي في كتب التاريخ التي يمكن أن تتسم بالموضوعية والجمود، "هذا الفضول الذي يحدثه مؤلف السيرة الذاتية حينما يكتب عن نفسه لا بوصفه شاهدا على نفسه، بل بوصفه شاهدا على ما يحيط به"[١].

أما المستوى الثالث من ذلك اللقاء الذي يجمع بين الأدب والتاريخ في سيرة علي النعيمي فيتلخص في نظرة هذه السيرة إلى المستقبل، وأنها يمكن أن تكتب التاريخ؛ لأنها تروي أحداثا يُفصح عنها علي النعيمي لأول مرة، ولن تجدها في كتب التاريخ الأخرى، مثل تفاصيل المفاوضات السرية التي كانت تحصل بين المملكة العربية السعودية والدول الأخرى في مجال النفط.

أما المستوى الرابع من العلاقات فهو مستوى النبوءات لأن السيرة الذاتية كتابة للمستقبل "إنها نبوءة الأنا أيضا في عمق إثبات حقيقة تصارع المسلمات"[٢]، وهذا ما يفرق بين الكتابة للأحياء والكتابة للأموات[٣]، إن الكتابة للأحياء كتابة للتنبيه وللفت الانتباه لتدارك ما فات، وليست فرصة للتسجيل فقط، ولذلك فإن كاتب السيرة

---

(١) السابق، ١٣٦.

(٢) بن مبروك، الأجناس الأدبية من الضبط إلى العبور، ٦٦.

(٣) انظر: السابق: ٦٦.

الذاتية يكتب للآخر بهدف تحويل رأي أو إرساء فكر، وقد أخذ علي النعيمي هذا الأمر على عاتقه من صفحة الإهداء والمقدمة حتى نهاية الكتاب، وقد ألمح فيه إلى عدد من النبوءات التي لا يتحدث عنها بوصفها قوى خارقة، بل يبشر بها بما يملكه من فراسة وخبرة. ويمكنك أن تجد ذلك على مستوى الشكل والمضمون، ومن تلك النبوءات تلك التي ترد على المشككين في مستقبل النفط في المملكة العربية السعودية قوله: "أما عن مستقبل النفط، فأنا واثق بأنه باقٍ في المستقبل المنظور. وقد لا يفاجأ القارئ حين يعرف أني أجد الوقود الأحفوري مصدرا جيدا للطاقة. فهو مكون رئيسي في مزيج الطاقة الكلي، سواء أحببنا ذلك أم لا. ولكن لا تعجل علي، فأنا مؤيد كبير للطاقة المتجددة، ولاسيما طاقة الرياح والطاقة الشمسية. وعلى الرغم من قناعتي بأن شمس المملكة ستشكل مصدر طاقة عظيم للأجيال القادمة، إلا أني أعتقد بأهمية اتخاذ مزيج من مصادر الطاقة، فهو برأيي الحل الأنجع، والآمن للمضي في دروب المستقبل"[١].

أما المتلقي فيصدق السير الذاتية؛ لأنه يبحث فيها عن ذاته ومستقبله، "إن أحسن الأسباب لتفسير ما قد يجده المرء من فائدة ومتاع في قراءة السير الذاتية التي يكتبها غيره، ... أن حديث المرء عن حياته الخاصة له ميزة لعلها غير متوقعة ولعلها كذلك سحرية، تتمثل في أن هذا الحديث يعكس أيضا حياة القارئ وإن كان ذلك على وجه مخصوص"[٢]، وهذا ما يجعل للسير الذاتية ألقا ربما لا تجده في التاريخ، ولا في السير الغيرية؛ لأن الكاتب لا يكتب عن الناس كما يكتب عن نفسه، باستثناء بعض الحالات.

---

(١) النعيمي، من البادية إلى عالم النفط، ٢٨٦.

(٢) ماي، السيرة الذاتية، ١٤٥.

من المميزات التاريخية لهذه السيرة أنها تروي الحدث بطريقة مشوقة في أغلب الأحيان، وهذا ما يميزها، يقول جورج ماي: "للناس كلهم ذكريات مماثلة، ولهذا السبب عينه فإن الحديث عن تلك الذكريات لا يمكن أن يمر به أحد مرور الكرام، خصوصا إذا أفلح ذلك الحديث، بما أودعه فيه المؤلف من إحساس وفن"[١]، ولذلك فإن هذه السيرة يمكن أن تكون أكثر جذبا للمتلقي من غيرها، ومجالا للحصول على المعلومات التاريخية.

(١) السابق، ١٤٣.

الخاتمة

١ - تختلف السير باختلاف ذوات كتابها.

٢ - اختار علي النعيمي عتباته بعناية تتسق مع الإطار العام لسيرته، والهدف الذي جعله يكتب سيرته.

٣ - تخضع سيرة علي النعيمي لجميع المقومات السيرذاتية التي تجعل من هذا العمل عملا أدبيا سيريا بامتياز.

٤ - تتمتع سيرة علي النعيمي بالمقومات السردية التي تؤهلها للقص والحكي الذي يذب عنها قيود المرجعية الصارمة، ولا يغمسها في عوالم التخييل المتحررة.

٥ - يقع التفاعل الأجناسي بين سيرة علي النعيمي في مستويات؛ مستوى الأخذ من الماضي، ومستوى الشهادة على الحدث المزامن للسرد، ومستوى النظر إلى المستقبل أو النبوءة به.

٦ - يمكن للسير الذاتية أن تكتب التاريخ، لكن بشروط ترتبط بالمؤلف والمدونة، وقد سبق فعل ذلك لكتاب التاريخ منذ زمن بعيد.

٧ - يمكن للتاريخ أن يأخذ من سيرة علي النعيمي لأن كاتبها شخصية معروفة شاهدة على العصر ومشهود لها بالنزاهة.

٨ - السيرة الذاتية أكثر جذبا للمتلقي من التاريخ لأسباب تعود إلى إنشائية النوع، وأفق التلقي.

وبعد، فإن منطقة اللقاء بين السرد السيرذاتي، والتاريخ العلمية ما تزال مفتوحة للدرس الأكاديمي على مستويي التنظير والتطبيق، وعليه فإني أوصي الباحثين بالالتفات إليها والبحث فيها.

ثبت المصادر والمراجع

[١] أشهبون (عبد المالك)، عتبات الكتابة في الرواية العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، اللاذقية، ٢٠٠٩م.

[٢] آل مريع (أحمد)، السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، أحمد، دار صامد، ط٣، صفاقس، ٢٠١٠م.

[٣] الباردي (محمد)، عندما تتكلم الذات: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ٢٠٠٥م.

[٤] بازي (محمد)، العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، دار الأمان، ط١، الرباط، ٢٠١٢م.

[٥] بلعابد (عبد الحق)، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر، ٢٠٠٨م.

[٦] بن رمضان (فرح)، الأدب العربي القديم ونظرية الأجناس، دار محمد علي، ط١، صفاقس، ٢٠٠١م.

[٧] بن مبروك (الأمين)، الأجناس الأدبية من الضبط إلى العبور مقالات وفصول مترجمة، مكتبة علاء الدين، ط١، صفاقس، ٢٠٠٨م.

[٨] بنخوذ (نور الدين)، فن السيرة في التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عمادة البحث العلمي. ط١، الرياض، ٢٠١٦م.

[٩] بنكراد (سعيد)، سيميائيات الصورة الإشهارية الإشهار والتماثلات الثقافية، أفريقيا الشرق، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

[١٠] الجزار (محمد)، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.

[١١] الجنوبي (أسماء) سير الشعر الذاتية في الأدب العربي الحديث، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، ٢٠١٤م.

[١٢] الرياحي (كمال)، هكذا تحدث فيليب لوجون: كتابة الذات، اليوميات الحميمة، التخييل الذاتي، تعريب صلاح الدين بوجاه. الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، ط١، تونس، ٢٠٠٩م.

[١٣] الطريطر (جليلة)، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث بحث في المرجعيات، مركز النشر الجامعي، ط٢، منوبة، ط٢، ٢٠٠٩م.

[١٤] عروس (بسمة)، التفاعل في الأجناس الأدبية مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة، دار الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.

[١٥] القاضي (محمد)، الرواية والتاريخ: دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر، ط١، تونس، ٢٠٠٨م.

[١٦] القاضي (محمد)، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ميسكلياني للنشر والتوزيع، ط٢، تونس، ٢٠٠٣م.

[١٧] قسومة (الصادق)، علم السرد المحتوى والخطاب والدلالة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميةعمادة البحث العلمي، ط١، الرياض، ٢٠٠٩م.

[١٨] قسومة (الصادق)، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، ط٢، تونس، ٢٠١٥م.

[١٩] لحميداني (حميد)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

[٢٠] لوجون (فيليب)، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي. ترجمة وتقديم عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.

[٢١] ماي (جورج)، السيرة الذاتية، تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة، نادي أبها الأدبي، ط١، ٢٠١١م.

[٢٢] مجموعة مؤلفين، معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، ط١، تونس، ٢٠١٠م.

[٢٣] منصر (نبيل)، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م.

[٢٤] النعيمي (علي)، من البادية إلى عالم النفط، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠١٦م.

[٢٥] وفكوح (عبد الفتاح)، أدب السيرة الذاتية إضاءات وإضافات، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م.

[٢٦] يقطين (سعيد)، انفتاح النص الروائي النص والسياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط٣، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

[٢٧] المتنبي (أحمد)، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

مواقع الشبكة:

[٢٨] آل الشيخ (عبد الملك)، من البادية إلى عالم النفط، صحيفة مال، ١٥/ نوفمبر/ ٢٠١٦م، تاريخ الزيارة: ٦/٢٧/ ١٤٣٣هـ: https://maaal.com/archives/201611/82993/

[٢٩] الثنيان (موسى)، رمزية السمك عند الشعوب، المجلة العربية: الإثنين: ٣/ ٩/ ٢٠١٩م، العدد: (٥٣٧) يونيو ٢٠٢١م، شوال: ١٤٤٢هـ، تاريخ الزيارة: ٢٤/ ١٠/ ١٤٤٢هـ:
http://arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?Id=7019

[٣٠] جمال (هبة)، ماهي لعبة السلم والثعبان وكيفية لعبها، موقع أبحاث، ٣/ نوفمبر/ ٢٠٢١م، تاريخ الزيارة: ٦/٢٨/ ١٤٤٣هـ: https://www.abhath.net

[٣١] رمز ومعنى، مجلة جهينة: ٢٤/ ١٠/ ١٤٤٢هـ: https://magazine.jouhina.com/print.php?id=2522

[٣٢] السبيت (زياد)، من البادية إلى عالم النفط، صحيفة الجزيرة، ١٨/ مارس/ ٢٠١٧م، تاريخ الزيارة: ٦/٢٧/ ١٤٣٣هـ: https://www.al-jazirah.com/2017/20170318/cm19.htmlk

[٣٣] الموسى (علي)، من البادية إلى عالم النفط، صحيفة عسير الالكترونية، ٣٠/ يناير/ ٢٠٢٢م، تاريخ الزيارة: ٦/٢٧/ ١٤٣٣هـ: https://1asir.com/32941

Sources and references

[1] Ash'habun (abdulmalik), atabaatul-kitabah fi riwaayat al-arabiyah, dar al-hiwar linnashir wattawzee', 1st edition, allaadhiqiyah, 2009 AD.

[2] Aal muree' (ahmad), assirat azzatiyah muqarabat al-haddi wal-maf'huum, ahmad, dar samid, 3rd edition, safaqis, 2010AD.

[3] Albaaridi (muhammad), indama tatakallam adhaat: assirah adhatiyah fil adab al'arabi alhadeeth, itihadul kutaab al'arab, 1st edition, dimashq, 2005 AD.

[4] bazi (muhammad), al'unwan fi athaqafat al'arabiyah attashkeel wamasalik attah'weel, dar al-aman, 1st edition, arribaat, 2012 AD.

[5] Bal'abid (abdulhaqq), atabaat jirar jenet mina nnass ilaal manass, manshuraat al-ikhtilaf, 1st edition, aljazaa'ir, 2008 AD.

[6] Bin ramadan (farah), al-adab al-arabiy al-qadeem wanazhariyat al-ajnaas, dar muhammad 'aliyy, 1st edition, safaqis, 2001 AD.

[7] Bin mabruk (al-ameen), al-ajnaas al-adabiyah mina ddabt ilaal 'ubuur maqalaat wafusul mutarjamah, maktabat 'alaauddeen, 1st edition, safaqis, 2008 AD.

[8] Binkhudh (nuruddeen), fannu siirah fi atturath al'arabi, jamiat al-imam muhammad bin sa'ud al-islamiyah imadat al-bahth al'ilmi. 1st edition, Arriyad, 2016 AD.

[9] Binkrad (sa'id), simiya'iyaat assurat al-ish'ariyah al-ish'ar wattamathulaat atthaqafiyah, afriqia assharq, 1st edition, addar albaida, 2006 AD.

[10] Aljazar (muhammad), al'unwan wasimutiqa al-ittisal al-adabi, al-haihat almisriyyat al'aamah lil-kitab, 1st edition, alqahirah, 1998 AD.

[11] Aljanubi (asmau) siyar asshi'r adhatiyah fil adab al'arabi al-hadeeth, 'alam alkutub alhadeeth, 1st edition, irbid, 2014 AD.

[12] Arriyahi (kamal), hakadha tahadatha philib lujun: kitabatu dhaat, alyawmiyaat alhameemah, attakhyeel adhati, ta'reeb salahudeen buwjah. assharikat attunisiyah linnashir watanmiyat funun arrasim, 1st edition, tunis, 2009 AD.

[13] Atturaitar (jaleelah), muqawimaat assirah adhatiyah fil adab al'arabi al-hadeeth bahth fil marji'iyaat, markaz annashir aljami'i, 2nd edition, manubah, 2nd edition, 2009 AD.

[14] Arus (basma), attafa'ul fil ajnas al-adabiyah mashru' qirahat linamadhij minal ajnas annathriyat alqadeemah, dar al-intishar al'arabi, 1st edition, bayrut, 2010 AD.

[15] Alqadi (muhammad), arriwayat wattareekh: dirasat fi takhyeel al-marji'i, dar al-ma'rifah linnashir, 1st edition, tunis, 2008 AD.

[16] Alqadi (muhammad), tahleelu nnasi assardi baina nadhariyat wattatbeeq, miskiliyani linnashir wattawzi'i, 2nd edition, tunis, 2003 AD.

[17] Qusuma (assadiq), 'ilmu ssard almuhtawa wal khitab waddilalah, jamiat al-imam muhammad bin sa'ud al-islamiyah 'imadatul bahth al'ilmi, 1st edition, arriyad, 2009 DA.
[18] Qusuma (assadiq), tara'iq tahleel alqissah, dar aljanub, 2nd edition, tunis, 2015 AD.
[19] Alhamidani (hamid), binyat annas assardi min mandhur annaqd al-adabi, almarkaz athaqafi al'arabi, 1st edition, addaar albaidaa, 2000 AD.
[20] Lujun (philib), assirat adhatiyah: almithaq wa ttaareekh al-adabi. tarjamat wataqdeem umar hali, almarkaz atthaqafi al'arabi, 1st edition, bayrut, 1994 AD.
[21] Maiy (george), assirat adhatiyah, ta'rib muhammad alqadi wa abdullah sawlah, nadi abha al-adabi, 1st edition, 2011 DA.
[22] Majmu'at mualifeen, mu'jam assardiyaat, muhammad alqadi wa aakharun, dar muhammad 'ali linnashir, 1st edition, tunis, 2010 AD.
[23] Mansir (nabeel), alkhitab almuwazi lil qasidat al'arabiyat almu'asirah, dar tubaqal linnashir, 1st edition, addaar albaida, 2007 AD.
[24] Anna'imi ('ali), min badiyat ilaa 'alam annaft, addaar al'arabiyah lil 'ulum nashirun, 1st edition, birut, 2016 AD.
[25] Wafkuh (abdulfatah), adabu-ssirat adhatiyah ida'at wa idafaat, dar fada'at linnashir wa ttawzi'i, 1st edition, 2016 AD.
[26] Yaqteen (sa'id), infitah annass arriwa'ii annas wa ssiyaq, sa'id yaqteen, almarkaz athaqafi al-arabi, 3rd edition, addaar albaida, 2006 AD.
[27] Almutanabi (ahmad), diwan abi ttayib almutanabi bisharhi abi albaqa al-ukbari almusama bi-ttibyan fi sharhi addiwan, dar alma'rifah, (without edition), bayrut, (without date).

Mawaqiu shabakah:

[28] Al assheikh (abdulmalik), minal badiyah ilaa 'alam annaft, sahifat mal, 15/ nufembar/ 2016 AD, tareekh azziyarah: 27/6/ 1433AH: https://maaal.com/archives/201611/82993/
[29] Athunayan (musa), ramziyat assamak 'inda asshu'ub, almajalat al'arabiyah: al-ithnain: 3/ 9/ 2019AD, al'adad: (537) yunyu 2021AD, shawal: 1442AH, tareekh azziyarah: 24/ 10/ 1442AH: http://arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?Id=7019
[30] Jamal (hibah), mahiya lu'bat assilmi wathu'ban wa kaifiyat lai'biha, mawqi' abhath, 3/ nufembar/ 2021AD, tareekh azziyarah: 28/6/ 1443AH: https://www.abhath.net/%d9%85%d8%a7-%d9%87%d9%8a-%d9%84%d8%b9%d8%a8%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%84%d9%85-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%ab%d8%b9%d8%a8%d8%a7%d9%86-%d9%88%d9%83%d9%8a%d9%81%d9%8a%d8%a9-%d9%84%d8%b9%d8%a8%d9%87%d8%a7/
[31] Ramz wa ma'na, majalat juhaina: 24/ 10/ 1442AH: https://magazine.jouhina.com/print.php?id=2522

[32] Assubait (ziyad), minal badiyat ilaa 'alam annaft, sahifat aljazirah, 18/ mars/ 2017AD, tareekh azziyarah: 27/6/ 1433AH: https://www.al-jazirah.com/2017/20170318/cm19.htmlk
[33] Almusa ('ali), minal badiyat ilaa 'alam annaft, sahifat 'aseer al-ilaktruniyah, 30/ yanayir/ 2022 AD, tareekh azziyarah: 27/6/ 1433 AH: https://1asir.com/32941